اقرأ

سلسلة ثقافية شهرية
تصدر عن دار المعارف

فايز فرح

يا عزيزي كلنا فلاسفة

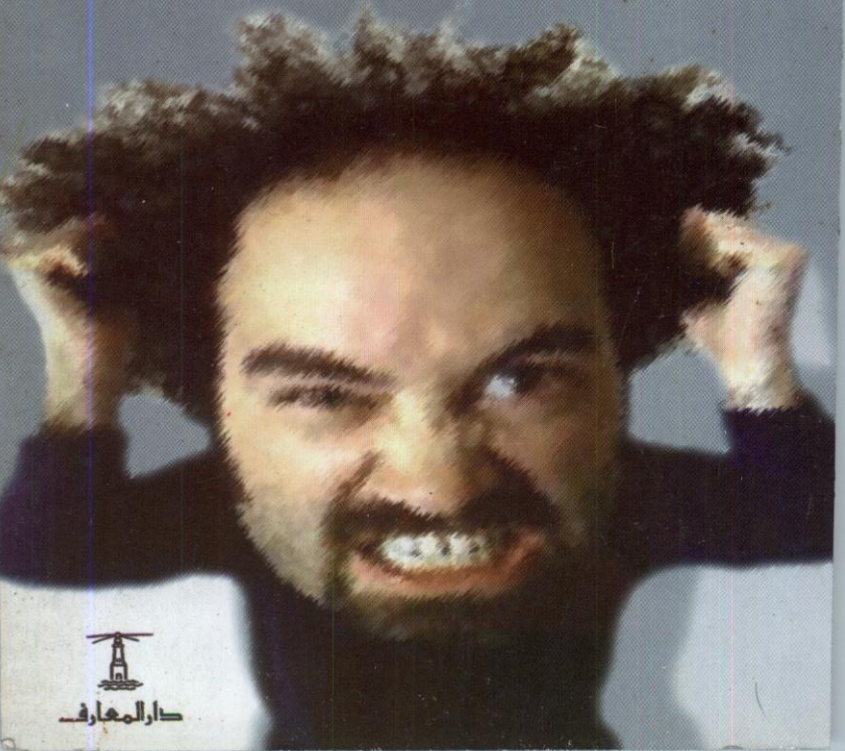

دار المعارف

سلسلة ثقافية شهرية
تصدر عن دار المعارف

[٧٤٨]

رئيس التحرير

إسماعيل منتصر

نائب رئيس التحرير
منى خشبة

مدير التحرير
كريمة مدولى

مدير فنى
شريفة أبو سيف

تصميم الغلاف
أيمن القاضى

بطـــاقـــة الفهـــرســـة
إعـــداد الهيئـــة المصـــرية العـــامة
لـــدار الكتب والوثـــائـــق القـــوميـــة
إدارة الشئـــون الفنيـــة

فرح ، فايز .
يا عزيزى كلنا فلاسفة .
فايز فرح .
- ط ١ - القاهرة : دار المعارف ، ٢٠١١
١٦٤ ص ؛ ١٧ سم .
تدمك ٩ - ٧٥٣٨ - ٠٢ - ٩٧٧ - ٩٧٨ .
١- مصر - الأحوال لاجتماعية
أ- العنوان .

ديوى ٣٠٩,١٦٢

رقم الإيداع ٩٩٨٩ / ٢٠١١ ٤٤/ ٢٠١٠/١

تنفيذ المتن والغلاف
بالمركز الالكترونى
دار المعارف

الناشر : دار المعارف ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .
هاتف ٢٥٧٧٠١٧٧ - فاكس ٢٥٧٤٤٩٩٩
E-mail: maaref@idsc.net.eg

فايز فرح

يا عزيزى
كلنا فلاسفة

دار المعارف

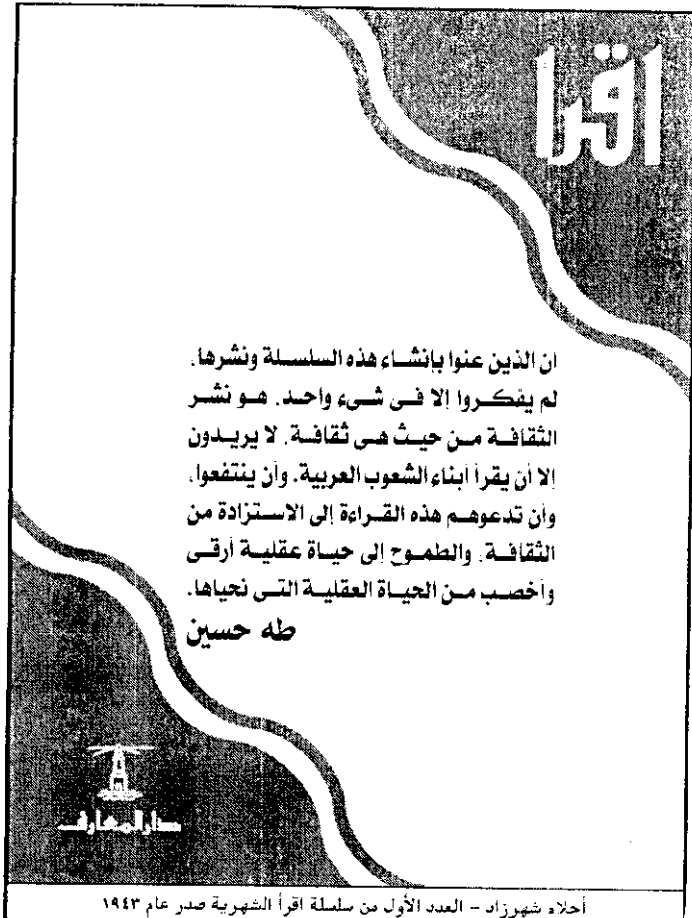
اقرأ
ان الذين عنوا بانشاء هذه السلسلة ونشرها. لم يفكروا الا فى شىء واحد. هو نشر الثقافة من حيث هى ثقافة. لا يريدون الا أن يقرأ أبناء الشعوب العربية. وأن ينتفعوا. وأن تدعوهم هذه القراءة إلى الاستزادة من الثقافة. والطموح إلى حياة عقلية أرقى وأخصب من الحياة العقلية التى نحياها.
طه حسين
دار المعارف

أحلام شهرزاد - العدد الأول من سلسلة اقرأ الشهرية صدر عام ١٩٤٣

الإهداء

إلى ابنتى العزيزة..

نورا فرح

الابنة الوفية،

والزوجة الصالحة والأم المعطاءة..

فايز فرح

مُقَـدِّمَة

الإنسان خـير المخلوقات، فقـد ميزه الخالـق العظيـم بالعقل الذى يمكن عن طريقه أن يغير نفسـه والدنيا من حوله، ولاشـك أن الحضـارة الحديثـة والتكنولوجيـا المعاصرة التى تسـتخدم أحدث الاكتشـافات والاختراعات العلمية فى مصلحة الإنسان هى نتاج العقل والتفكير.

هذه الميزة العظيمة والجوهرة المهداة للإنسـان وهى العقل يجب أن يستخدمها الإنسان جيدا ليحقق ذاته ويعيش حياته المستقلة ويصل إلى السعادة التى يتمناها.

أنـت لم توجد فى هـذه الحياة هباءً، أو كمالة عدد بل أنت إنسـان تتزين بالعقل ولك بصمتـك الخاصة، ومن هنا يجب عليك أن تفكر فى حياتك وعملك ومسئولياتك، لا تقل: هو أنا يعنى هغير الكون.. لا تقل ذلك لأنك يمكن أن تسـتغل مواهبك وتغـير الكون فعلا. لا تنتقص من شـخصك واعرف وتأكد أن من غيروا الكـون لم يكونوا أفضل منك، بل قـد تكون أنت أفضل منهـم، العالم (ألبرت أينشـتين) صاحب نظرية النسـبية الخاصة والعامة، وصاحب نظرية إنحـاء الكون وغيرها كان إنسانا بسيطا مثلك لكنه أعمل عقله وفكر واكتشف.

العالم (إديسون) الذى قدم للعالم أكثر من ألف اختراع منها المصباح الكهربى وأجهزة التسجيل والتصوير كان بليدا منذ طفولته لدرجة أنه طرد من مدرسته وتفرغت والدته لتعليمه حتى وصل إلى ما وصل إليه ولم يكن يحمل أية شهادة ثانوية أو جامعية!.. العالمة (مارى كورى) البولندية الأصل كانت فتاة فقيرة محتاجة لكنها طموحة استخدمت عقلها حتى اكتشفت مادة الراديوم التى تعالج مرضى السرطان، وعملت فى طفولتها خادمة ومربية لكنها فى النهاية حصلت على جائزة نوبل مرتين.

معجزة القرن العشرين (هيلين كيلر) كانت عمياء صماء بكماء لكنها لم تستسلم لعاهاتها الثلاث بل استخدمت عقلها وثارت على وضعها ونالت درجة الدكتوراة مرتين وأصبحت سفيرة لكل المعاقين تدافع عنهم فى كل الدنيا وتحقق لهم إنسانيتهم، وفى مصر هل ننكر ما فعله (طه حسين) عميد الأدب العربى منذ طفولته عندما أصيب بكف البصر ولم يستسلم هو الآخر بل جاهد وصمم وتعلم فى فرنسا لأن العاهة -أى عاهة- لا تمنع صاحبها من الحياة الكريمة السعيدة لو حاول أن يفكر ويعيش إنسانا راقيا. هناك فى مصر مثل آخر هو الأديب (صبحى الجيار) الذى أصيب وهو صبى مازال يلعب الكرة بمرض خطير جَمَّد ويبس كل مفاصله وأصبح كل شىء فى جسمه لا يتحرك أصبح كتلة جسمية واحدة ما عدا ذراعيه اللتين تتحركان ببطء وفى

مساحة محدودة كذلك رقبته التى تتحرك بنسبة ضئيلة جدا، ولقد صدق عندما قال: (إننى أشغل فى حياتى مكان ميت فى قبره) ومع ذلك تسلح صبحى الجيار بالصبر وتعلم وهو فى السرير وأصبح أديبا قصاصا ومترجما معروفا وتتلمذ على يديه بعض كبار الكتاب مثل الكاتب الصحفى أحمد بهجت وغيره، وحصل الجيار على جائزة الدولة.

وأنت عزيزى القارئ منحك الله النعمة والصحة والخير والعقل فلماذا لا تستخدم عقلك لتعيش حياة سليمة جميلة مرفهة؟!!.

إن مشكلتنا أننا لا نستخدم الجوهرة والهدية التى منحنا إياها الخالق العظيم، وأشعر أن المصريين -للأسف- يتركون عقولهم فى بيوتهم ويخرجون للعمل، فكيف يعملون إذن؟.. إنهم يتخبطون ويتركون الحياة تقذف بهم فى كل اتجاه دون أن يكون هناك أى رد فعل من جانبهم!.

كن شجاعا واستخدم عقلك وتعرف إلى مواهبك واقتحم الحياة، الحياة تحب من يعاركها وتعاركه، وحتى إن لم تصل إلى ما تريد فيكفيك شرف المحاولة ، المثل الإنجليزى يقول: الحياة مباراة العبها جيدا.

Life is a game play it well

وعندما تلعبها جيدا، وحتى إذا خسرتها ولم تسجل أهدافا فسوف تكون مستريحا لأنك أديت واجبك وحاولت جيدا ولعبت بكل قدراتك.

أنت فيلسوف دون أن تعلم، لأنك تفكر فى حياتك وفى مشاكلك الخاصة وفى البيت والعمل وهكذا. لمجرد أنك تفكر فأنت فيلسوف لأن الفلسفة هى استخدام العقل وطلب الحكمة. لا تخف من الكلمة فهى بسيطة تجعل منك إنسانا حقيقيا، فهى حب الحكمة. ومن منا لا يحب الحكمة؟!

والحكمة تدفعنا إلى السخرية من أخطائنا وخطاياانا والسخرية تجعلنا نعرف الفرق بين المعقول واللامعقول.

وبين ما يجب أن يكون وما هو كائن فعلا. وبين المثالى والعادى. وهنا نضحك على حالنا. والضحك ضرورة إنسانية حتى يتخلص الإنسان من همومه ومشاكله. ولهذا نصحنا الفيلسوف الفرنسى (فولتير) بأن نضحك ونشجع الآخرين على الضحك.

لم نخلق هباءً. بل كل منا له بصمة يجب أن يستخدمها. وكل منا له مواهب -ويحمل عبقريات- يجب أن يكتشفها ويستغلها لمصلحته ومصلحة الآخرين.. والحياة جميلة على الرغم من كل شىء، المهم أن تحبها وتتسلح بالأمل فيها والأمل يجب أن يكون مقرونا بالعمل حتى نحقق ما نريد.

تفاءل حتى الموت بل تفاءل من الموت ذاته.

فايز فرح

ولد الإنسان سعيدا

يقول الشاعر :

كل من في الكون يشكو دهره ليت شعري هذه الدنيا لمن؟

والشاعر على حق في قوله. فالناس كلها تشكو دهرها. تشكو الأيام والحياة والفقر والمرض والآلام والأوجاع والتعاسة والسقوط والإحباط والكآبة والاكتئاب والقبح والنفور والفساد والإفساد. حتى أصبحت الحياة لا تطاق بالطبع.

يحدث هذا في كل العالم. المتمدين والمتخلف. الغني والفقير. المتقدم والنامي. العملية إذن لا ترتبط بالفقر والغنى أو التحضر والتأخر. العالم كله يئن ويتوجع ويتألم. فهل هذه هي الحياة فعلا؟.

لا يمكن أن تكون الحياة كذلك. الحياة ليست بؤسا ومرضا ووجعا وألما واكتئابا. الحياة على الرغم من وجود هذه الأوجاع والآلام جميلة حقا سعيدة حقا تستحق أن نحياها ونتمتع بها. ونحاول التخلص من كل ما ينغصها ويسيء إليها. وهذه معركة ليست سهلة. ومع ذلك فهي معركة من أجل الحياة.

لذلك كتب الدكتور زكريا إبراهيم أستاذ الجمال الأسبق بكلية الآداب جامعة القاهرة. كتابا أسماه «مشكلة الحياة» فالحياة معركة أو مشكلة.

والإنسان قادر على الانتصار عليها وفك رموزها. والعيش فى سعادة وفرح وغبطة وحبور، وكانت سيدة الغناء العربى أم كلثوم على حق عندما غنت:

وما نيل المطالب بالتمنى ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

الحياة معركة نشترك فيها رغما عنا. ولكننا ننتصر فى النهاية على الألم والوجع والحزن حتى يكون نتيجة الانتصار الفرح والبهجة والسرور. والعمل والكفاح هو الذى يجعل للحياة معنى، ويحولها إلى سعادة دائمة. ومهما كانت أوجاعك وآلامك. بل ومصائبك. فستنتصر فى النهاية مادمت تحارب بإيمان بحقك فى الحياة وفى السعادة وفى المتعة واللذة والفرح والحبور. ويستطيع الإنسان. حتى وهو فى أسوأ الحالات أو المرض أو الاكتئاب أن يشعر بالسعادة، وأن يتخلص من كل آلامه. يكفى أن يؤمن الإنسان بالله وبالمستقبل وأن الغد سيكون أفضل من اليوم وأن بعد الغد أفضل من الغد وهكذا. انظر إلى آلام غيرك وستحمد الله كثيرا على ما أنت عليه. حتى لو كانت حياتك نارا موقدة السعادة داخل كل واحد منا. لكننا للأسف. نبحث أحيانا عن الهموم والنكد والقرف دون سبب، لذلك يقول الشاعر.

أيها الشاك الليالى إنما الغبطة فكرة

الله سبحانه وتعالى خلقنا على أحسن صورة بطريقة عبقرية. وخلقنا

سعداء. وفى داخل جسم الإنسان هرمون يسمى «إندوفين» هذا هو هرمون السعادة، يستطيع كل إنسان أن يستخدم هذا الهرمون فى جسمه عن طريق مجرد الابتسامة والضحكة، بعدها يعمل هذا الهرمون على أن نتخلص من كل همومنا وأحزاننا فهو يشد السعادة إلينا، ويقتل الاكتئاب، ويزيل الغشاوة التى على أعيننا فنرى الحياة جميلة، ونشعر برغبة فى الانطلاق وحب الناس جميعا، والحياة بكل صورها، فلماذا لا نبتسم ونستخدم هذا الهرمون الذى خلقه الله داخل أجسامنا؟..

والطريف أننا عندما لا نضحك أو نبتسم أو نأخذها جد حبتين، يكتب الطبيب لنا فى «الروشتة» العلاج وهذا العلاج يكون هرمون «إندوفين»، حتى يقضى على آلامنا واكتئابنا ونظرتنا السوداء للحياة، والثمن باهظ جدا، لأن حقنة هذا الهرمون تساوى ألف جنيه تقريبا.

معنى ذلك إننا عندما نستسلم للحزن واليأس ولا نحاول الانتصار أو التخلص منهما فإننا نُغرم أنفسنا مالا أيضا.

هكذا ولد الإنسان سعيداً لكنه يبحث أحيانا عن المتاعب والمشاكل دون سبب.

الحياة جميلة فعلا، المهم أن تعرف كيف تتمتع بها، وكيف تتخلص من كل همومك وأوهامك ومخاوفك، لا تخف من شىء، اقتحم الحياة، حب الناس جميعا، حب الحياة نفسها، اشكر الله على هذه المنحة الجميلة منحة الحياة، واجعلها سعيدة فرحة بابتسامتك وأملك وتفاؤلك

استخدم البرمون الطبيعي. هرمون السعادة الذى خلقه الله فينا. كانت هيلين كيلر. معجزة القرن العشرين صماء بكماء عمياء. ومع ذلك كانت محبة للحياة وحصلت على درجة الدكتوراة فى القانون. وألفت الكتب. بل وأطلقت على أحدها اسم «التفاؤل والعالم الذى أعيش فيه» تقول هيلين فى هذا الكتاب:

«إن العمى ليس بشىء.. وإن الصمم ليس بشىء.. فكلنا فى حقيقة الأمر عمى وصم عن الجلائل الخالدة فى هذا الكون العظيم.. ولكن الطبيعة تترفق بنا حتى حين تبدو فى أشد مظاهر قسوتها. وقد منحت كلا منا نحن الذين لا نملك سوى خمس حواس ضئيلة عاجزة. منحتنا حاسة سادسة. هى وحدها التى تستطيع أن ترى ما لا تراه العيون.. وتسمع ما لاتسمعه الآذان.. وتدرك ما لا تدركه العقول.. هذه الحاسة التى تغنينا عن الحواس الأخرى.. هى دليلنا فى هذه الحياة. وعزاؤنا فى هذا الألم..

هذه السيدة الفاضلة.. «هيلين كيلر» كانت على الرغم من عاهاتها الصعبة سعيدة تحب الحياة متفائلة. تمارس عدة هوايات. المشى ركوب الخيل. السباحة. الرقص. بل وتسمع السيمفونية التاسعة لبيتهوفن وتتمتع بها. وفى ذلك تقول:

«لقد تمكنت ليس فقط من سماع كل ذبذبة فى السيمفونية. لكن أيضا

كل عاطفة في الإيقاع. فموجاتها العظيمة كانت تدق على أصابعي».

إذا كانت «هيلين كيلر» سعيدة بحياتها متفائلة وهي تعاني من الصمم والبكم والعمى. فما بالك وأنت تتمتع بكل صحتك لماذا لا تكون سعيداً؟.

الشاعر التونسي العبقري أبو القاسم الشابي الذي عاش خمسة وعشرين عاماً فقط. وتعذب بالمرض واحتلال بلاده. وعدم التجاوب مع ثورته الأدبية. تحدى الجميع في ثقة وسعادة. وقال في ديوانه الوحيد «أغاني الحياة» قصيدة الجبار:

سأعيش رغم الداء والأعداء
كالنسر فوق القمة الشماء
أرنو إلى الشمس المضيئة هازئاً
بالسحب والأمطار والأنواء
لا أرمق الظل الكئيب. ولا أرى
ما في قرار الهوة السوداء
وأسير في دنيا المشاعر
حالماً غرداً وتلك سعادة الشعراء
أصغي لموسيقى الحياة. ووحيها
وأذيب روح الكون في إنشائي
وأصيغ للصوت الإلهي. الذي
يحيى بقلبي ميت الأصداء

ولد الإنسان سعيدا، لكنه أحيانا ينسى هذه السعادة ويبتعد عنها دون سبب. والسعادة في داخله وحوله. ابتسم وتفاءل من كل شيء في الحياة. تفاءل حتى الموت. بـل تفاءل من الموت ذاته فهو مرحلة إلى حياة أخرى أكثر سعادة وفرحا

صباح الخير يا... أنا

خرجت ذات يوم إلى العمل، فى الطريق شعرت بسحابة من الكآبة تكاد تغطينى وتسيطر على فكرى ونفسى، أما السبب؟.. فلا أعرف؟!.

شعرت بأن هذا الشعور السخيف البارد بالاكتئاب يدفعنى إلى أن أمشى الهوينى ببطء ورتابة، خطواتى ضعيفة، ظهرى ينحنى، وصدرى ينكمش، وكلى على بعضى مثل خيال المآتة.

لم يستمر هذا الشعور البغيض الحزين أكثر من دقائق معدودة.. ثم لم تعجبنى نفسى، ولا مشيتى، ولا تفكيرى، وأجريت حوارا مع نفسى:

ما هذا الذى يحدث؟.. أأنت هو الإنسان القوى المحب للحياة، الذى تتناول مع إفطارك كمية كبيرة من الحب، ومع غدائك كمية كبير من التفاؤل؟.. ثم يأتى المساء فتوزع هذا الحب وذاك التفاؤل على جمهور الصالونات الأدبية، والندوات الثقافية، واللقاءات الفنية، ثم هل نسيت قولك المأثور: أنا عندى تفاؤل يكفى كل المصريين؟.. والقول الآخر: تفاءل حتى الموت، بل تفاءل من الموت ذاته:

كيف يتسرب الاكتئاب إلى نفسك وأنت الذى تعطى الناس حقنا ضد الاكتئاب وتدفعهم إلى حب الحياة والتمتع بها. وتقول الحياة حلوة جميلة على الرغم من كل شيء؟!.

وشعرت أن الاكتئاب يهرب من تفكيرى. وتصفو نفسى شيئا فشيئا. وتذكرت أبيات الشاعر الفيلسوف. إيليا أبو ماضى. أمير شعراء العرب فى المهجر. والتى ضمنها قصيدته الرائعة «فلسفة الحياة» تقول:

هو عبء على الحياة ثقيل
من يظن الحياة عبئا ثقيلا
والذى نفسه بغير جمال
لا يرى فى الوجود شيئا جميلا
ليس أشقى ممن يرى العيش مُرا
ويظن اللذات فيه فضولا
وإذا ما أظل رأسك هَمٌّ
قصر البحث فيه كيلا يطولا

وعُدت إلى طبيعتى المتفائلة، وحبى بل عشقى للحياة. وبدأت الدماء تسرى فى قدمى، ووجدتنى أضرب الأرض ضربا، وأشفق عليها من قوة خطوتى. والطريف أننى انتظرت من الأرض أن تتفجر بالبترول. كما كنا نسمع من قادة الجيش عندما كانوا يقولون لنا: لابد أن تضرب الأرض بقوة لتخرج البترول. هذه هى المشية العسكرية.. ثم شعرت

بأن صدرى ينتفخ هو الآخر شيئا فشيئا، وأصبحت كالرياضى الذى يمارس رياضة كمال الأجسام. كما انتصب عمودى فقرى فجعلنى أطول مما كنت. وقلت لنفسى مازحا: لقد أصبحت كالجندى الذى يسير ويمشى فى موكب النصر.. وتخيلت الموسيقى العسكرية تصاحبنى وأنا أمشى الخيلاء معجبا بنفسى محبا للحياة أمشى لا فى الشارع وإنما فى موكب النصر شمال يمين.. هاب.. هب.. وأنا حقيقة أمشى فى موكب النصر. ليس موكبا عسكريا. ولكن النصر على الاكتئاب، على هذا الشعور الكئيب الذى يحطم الإنسان. ويحوله إلى كمية مهملة أو إنسان بلا عقل أو هوية.

وهل يوجد انتصار أجمل من الانتصار فى الحياة على المرض النفسى أو الجسمى؟..

وقلت لنفسى وأنا أمشى فى قوة وحب للحياة وتفاؤل ما بعده تفاؤل. وأشعر أننى طير فى السماء أحلق فى الفضاء:

صباح الخير يا.. أنا.. فأنا هو الإنسان السوى القوى المتفائل، المحب للحياة. الذى يكره الحزن والاكتئاب والكسل والتواكل. ويعشق الحياة ويؤمن بأن الحياة حلوة فعلا وأننا يمكن أن نستمتع بها. وأن السعادة الحقيقية تنبع من داخلنا ومن نظرتنا للحياة.

صباح الخير يا .. أنا.

وصباح الخير يا .. أنت.

فهذه التجربة ليست ملكى وحدى وإنما هى ملكى وملكك وملك كل إنسان..

نستطيع كلنا أن نجعل الحياة جميلة وأيامنا حلوة سعيدة هنيئة بهيجة رائعة ونردد معا:

أيها الشاكى الليالى إنما الغبطة فكرة
أيها العابس لن تعطى على التقطيب أجرة
لا تكن مُرا ولا تجعل حياة الغير مرة
إن من يبكى له حَوْلٌ على الضحك وقدرة
فتهلَّل وترنم فالفتى العابس صخرة

وإذا كنت صديقى لا تحب الشعر. فتعال نغنى هنا:

دوس على الدنيا وامشى عليها أنا والا أنت لينا مين فيها.. الحياة حلوة بس نفهمها. الحياة غنوة ما أحلى أنغامها.. ارقصوا وغنوا وقولوا.. الحياة حلوة..

انسى الدنيا وريح بالك. أوع تفكر فى اللى جرى لك.. اضحك كركر أوع تفكر

المهم أن نضحك ونسعد ونطرد الهموم لأن الهموم سموم.

أنا شاب فى الستين

أنا

شاب فى الستين .. لا تضحك أو تسخر. فهذه حقيقة واقعة. لم يعد إنسان الستين هو الذى يستخدم النظارات السميكة منحنى الظهر يتوكأ على عصا تساعده على المشى. يتحدث بكلمات مكسرة غير مفهومة نتيجة لفقده أسنانه. تكاد ملامحه أن تختفى من كثرة تجاعيد الوجه. إنسان الستين فى العصر الحديث شاب متكامل الصحة عفى. يعمل أكثر مما كان يعمل فى شبابه الأول، متمتع بحيويته وقدرته على العطاء بنظره الثاقب أو أسنانه القوية اللامعة.. لم تعد سن الستين تخيف صاحبها أو ترهبه أو تدفعه للقول المأثور: «يا لله حسن الختام».. فالحياة تبدأ بعد الستين، وليس هذا هذر أو تجاوز. ولذلك نسمع كثيرا من البعض «المعاشات عَيّلت».

ومع ذلك فإن البعض مازال يخشى ويخاف من هذه السن الجميلة. ربما لأنه يشعر بفراغ كبير. أو أن الزملاء والأقارب يبالغون فى التعامل معه، أو الحديث عن سن المعاش. فحفلات التوديع وكلمات الثناء عن الماضى. وكان الاستاذ يتمتع بكذا وكذا. وكان يعامل الجميع هكذا، وكان وكان وكان. كلمات كلها فى الماضى يشعر صاحبها أنه انتقل إلى رحمة

الله دون أن يدرى. هذه تدفع صاحب المعاش إلى الملل والألم والاكتئاب. من هنا لابد أن نحدث صاحب المعاش عن المستقبل. والسعادة التى تنتظره. والحياة الهادئة الجميلة التى سيحياها بإذن الله.

وكثيرا ما نسمع عن رحيل بعض الذين اقتربوا من سن المعاش بسبب الرعب والخوف وكلمات العزاء المعسولة من الآخرين. وبالطبع ليس هذا هدفهم ولكن سوء الطريقة التى يتعاملون بها هى السبب. ولابد هنا أن نعلم أن الكلمات كقطع الذهب لكل كلمة عيار ووزن معين. ولابد أن نختار الكلمات المناسبة الجميلة المفيدة الطيبة. والكلمة الطيبة صدقة.

العلم يثبت الآن أن سن الستين هى سن الشباب والحيوية والانطلاق. ففى دراسة أجراها علماء بريطانيون وألمان. نشرتها مجلة ساينس البريطانية. توقع العلماء ارتفاع متوسط عمر الإنسان إلى ١٠٠ سنة بسبب التقدم العلمى والرعاية الصحية ونوعية الطعام وعوامل الرفاهية.. وفى دراسة أخرى أثبت العلماء أن عمر الإنسان يجب أن يكون ١٢٥ سنة، وذلك لأن الكائنات الحية تعيش أكثر من المدة التى يتكون فيها هيكلها العظمى بخمس مرات. كالكلب مثلا يتكون هيكله العظمى فى ثلاث سنوات وعمره حوالى ١٥ سنة. والحصان يتكون هيكله العظمى فى أربع سنوات ومتوسط عمره ٢٠ سنة. أما الإنسان فيتكون هيكله العظمى فى ٢٥ سنة ومن هنا يجب أن يعيش ١٢٥ سنة. ألم أقل لك أننى شاب فى الستين!.

ماذا يحدث إذن للإنسان ولماذا يقصف عمره مبكرا ويموت فى عز الشباب ٦٠ و ٧٠ و ٨٠ سنة؟.

لابد أن نعترف أن انتشار الأمراض والتلوث والتكالب على الماديات والحياة الصناعية والابتعاد عن الطبيعة الجميلة الساحرة هو السبب. والأمراض ليست هى الأمراض العضوية الخطيرة مثل الإيدز والسرطان والسل الذى للأسف عاد يطل علينا بمخاوفه. بل هناك أمراض نفسية لا تقل خطورة عن الأمراض العضوية. منها بل وأهمها مرض الاكتئاب الذى يدفع الملايين إلى الانتحار. ومرض الزهايمر الذى يفقد الإنسان ذاكرته ووعيه وغيرهما.

إذن لو عاش الإنسان حياة صحية سليمة جسمياً ونفسياً يستطيع أن يبلغ المائة بسهولة ويحقق كلام العلماء. وهذا يحدث لبعض الناس الذين نسمع عنهم دائما أنهم يتمتعون بصحتهم وهم فى المائة، بل وهم ما بعد المائة.

المهم أن تعيش بفن وفلسفة وتحاول أن تتقى شر الأمراض المختلفة. وتستمتع بالحياة. فالحياة جميلة. وقد خلقنا الله لا لنعانى فقط. بل أيضا لنستمتع بالحياة ونسعد بكل ما فيها من مباهج ولذات ولذائذ فى حدود المحافظة على صحتك الشخصية. وصحة الآخرين أيضا.

لابد أن يدرك الإنسان أن الحياة أخذ وعطاء. ولا يمكن لك أن تأخذ وحسب. والعطاء ليس مجرد مادة ونقود بل يمكن أن تعطى بعضا من

وقتك واهتمامك وحبك لمساعدة الآخرين. وهذا يعود عليك بالخير والصحة النفسية السليمة الرائعة. يكفى أن تسأل عن الأرامل واليتامى لتسعدهم وتشعرهم أنهم ليسوا وحدهم.. يجب أن يكون لك دور اجتماعى حتى تشعر بأنك شاب دائما.

علمنا أستاذنا المفكر سلامة موسى أن الحياة تبدأ فى الستين. فعندما وصل هو إلى هذه السن الجميلة وضع برنامجا لحياته القادمة لمدة عشر سنوات، وضع فيه الكتب التى سيقرأها والكتب التى سيؤلفها. والرحلات التى سيقوم بها، وعاش إلى ما بعد السبعين بعد أن نفذ البرنامج الذى وضعه لنفسه.

وأنت صديقى العزيز.. صديقتى العزيزة لا تخف من اقتراب سن الستين أو بلوغها. بل ضع لنفسك برنامجا لتنفيذه وشغل وقت الفراغ. حاول أن تقتل الفراغ، لأنك إن لم تقتل وقت الفراغ فإنه يقتلك أو يصيبك بأمراض شتى.

لا تجعل كل اهتمامك بالجلوس مع التافهين الفارغين العاطلين الروتينيين البيروقراطيين على قهوة المعاشات. لأن شهداء هذه القهوة كثيرون، بل اذهب إلى النادى مع أسرتك، اقض وقت فراغك مع أبنائك أو أحفادك أو شباب العائلة، علمهم شيئا وتعلم منهم، ساعدهم على معرفة الحياة بالحكمة التى علمتها لك سنوات العمر الجميل. مارس هواياتك التى كنت لا تجد وقتا لها. تمتع بالحياة. اخرج إلى الطبيعة

سافر إلى محافظات مصر المختلفة، اعرف بلادك وأماكن الجمال التى لم ترها من قبل. لاتعش فى ذاكرة الماضى، بل اجعل من الماضى فرصة للانطلاق نحو المستقبل، تذكر إيجابيات الماضى ولا تذكر سلبياته. إذا نظرت إلى إيجابياتك ستجدها كثيرة، وستجد نفسك أفضل من معظم زملائك، يكفى أنك وصلت إلى هذه السن الجميلة وغيرك من الزملاء رحل من قبل الوصول إليها.. أليست هذه نعمة تشكر الله عليها؟..

اعرف أيها الصديق الشاب فى سن الستين أنك شاب فعلا، وأنك - كما يقول العلماء - فى شرخ الشباب، وأن الحياة تنتظر منك الكثير وكذلك الأهل والأصدقاء، حاول أن تجعل من نفسك شخصية تُسعد الآخرين وتدفع البهجة إلى قلوبهم والفرحة إلى نفوسهم.

إننى أشعر فى هذه السن الجميلة بنفس الطموح والرغبات والآمال التى كنت أشعر بها وأنا فى الثلاثين. ولما لا ألست فى عمر الثلاثين مرتين؟!.

كن شجاعا واستخدم عقلك

يبدو أن عمنا الفيلسوف الألمانى الكبير (عمانويل كانط) كان يعرف أن معظم الناس تحب أن تريح عقلها. وتقبل الواقع ولا تتعب نفسها بالتفكير فى مشاكلها وفى مستقبلها وفى أمراضها وبؤسها. ومن هنا كان يدعو الإنسان: «كن شجاعا واستخدم عقلك».

الغريب أن العقل هو الذى يفرق بين الإنسان والحيوان وهو الذى جعل الإنسان يصل إلى رقى الحضارة وتفوق التكنولوجيا. وأصبح يطير كالصاروخ. ويستخدم الذرة فى العلاج ويتصل بنظيره فى ثوان معدودات. ومازال العلم يفاجئ الإنسان باكتشافات مذهلة جديدة كل لحظة.

كل هذا بفضل التفكير واستخدام العقل ومن عجب أن البعض يريد أن يستغنى عن هذا العقل. أو يريد أن يوقف عمله معظم أوقاته فهل هذا كلام؟.

العجيب أن هناك كلمات كثيرة تدعو إلى الاستغناء عن العقل مثل: كَبِّر مُخك.. كَبِّر دماغك.. اشترى عقلك ريِّح الجمجمة!.

العالم كله يستخدم عقله ويتقدم ونحن - للأسف - ندعو إلى راحة عقولنا

وعدم استخدامنا. وبعد ذلك نتعجب من تأخرنا وتخلفنا ومشاكلنا الاقتصادية والاجتماعية المُخة!.

ومن هنا يجب أن نعلى قيمة العقل والتفكير السليم. ونطبق شعار أو مقولة فيلسوفنا كانط.

واستخدام العقل ليس بدعة وإنما ضرورة وحياة. ولذلك قال أستاذنا عباس محمود العقاد: التفكير فريضة إسلامية، ونادى شاعرنا الهمام أبوالعلاء المعرى: بأن لا إمام إلا العقل.. واهتم الفيلسوف العربى ابن رشد بالعقل فقال: إن البرهان العقلى يعد أسمى صور الأدلة..

يقول الدكتور عاطف العراقى فى كتابه المرجع: (ابن رشد فيلسوفا عربيا بروح غربية).. من المؤسف إننا نبحث اليوم عن حلول كثيرة لمشكلاتنا المتعاظمة فى الوقت الذى قدم لنا فيه ابن رشد منذ ثمانية قرون، المفتاح أو المنهج الذى يساعدنا على حل هذه المشكلات وهو الإيمان بالتنوير والعقل أساسا.

والعقل هو نتاج للمخ بالطبع وكلما استخدمنا عقلنا وأشركناه فى كل حياتنا كلما أضفنا له خبرات كثيرة تتمثل فى تعاريج فى المخ هى دليل على استعماله. ومن هنا يقول العامة: إن فلانا مخه أبيض أى إنه بلا تعاريج أو علامات تدل على الخبرة والتشغيل. وهذا طبيعى لأن أى عضو فى جسم الإنسان لا يُستخدم يضمر ويضعف ويصبح بلا فائدة. والمخ بالذات عندما نستخدمه يزداد خبرة وتألقا وبراعة.

وكبر حجم المخ ليس دليلا على العبقرية والتفوق وإنما الخبرات والتعاريج والعلامات التى فيه دليل ذلك فمثلا حجم مخ الإنسان الطبيعى هو ١٤٠٠ جرام، كما يقول الدكتور عبدالهادى مصباح فى كتابه: (العبقرية والذكاء والإبداع) لكن مخ العالم الكبير أينشتين كان وزنه ١٢٣٠ جراما، أى أقل وزنا من الإنسان العادى. ومع ذلك أينشتين أعلم العلماء وعبقرى العباقرة. ومن هنا نقول إن كبر المخ ليس دليلا على العبقرية. ونعود إلى (عمانويل كانط) ومقولته المهمة: كن شجاعا واستخدم عقلك.. وعنده حق فى ذلك فنحن عندما نستخدم عقلنا نصل إلى حلول لكل مشاكلنا بل ونضع خططا لمستقبلنا الرائع المضىء. ألم نقل فى أمثالنا الشعبية .. العقل زينة؟!.

لم يكن فيلسوف ألمانيا هو الوحيد الذى دعانا إلى استخدام العقل بل إن فيلسوف فرنسا (ديكارت) بنى وجوده وحياته على الفكر الذى هو نتيجة لاستخدام العقل فقال: (أنا أفكر إذن أنا موجود)، وقبل ذلك دعانا فيلسوف فرنسا الساخر (فولتير) إلى أن نفكر ونشجع الآخرين أيضاً على التفكير.

إنها مهمة الإنسان فى كل زمان ومكان أن يفكر ويستخدم عقله الذى هو هدية الخالق العظيم له، يفكر فى حياته ومشاكله التى يتعرض لها. ويفكر فى مستقبله لتحقيق طموحاته وأهدافه التى يسعى إليها والتى يرى أهميتها فى حياته.

كن شجاعا واستخدم عقلك فى حل مشاكلك ولا تترك للدجالين والمشعوذين تقديم حلول وهمية لها. إذا لم تعثر ابنتك على ابن الحلال، أو إذا لم يمن الله على ابنتك المتزوجة بالإنجاب فعالج المشكلة بالعقل المستنير اتح لها فرصة العلاقات الاجتماعية، واذهب معها إلى الطبيب ليعالجها ويمن الله عليها بالإنجاب، ابعد عن النصابين الذين يصنعون الأعمال الشيطانية ويحرقون البخور ويتحدثون بكلمات لا معنى لها. إنهم يضيعون وقتك ويسرقون مالك ويزيدون همومك، ولو فكرت قليلا واستخدمت عقلك لعرفت أن العلم وحده هو الذى يحقق المعجزات ويعالج المرض ويأتى بابن الحلال.. إذا مرض ابنك وشعرت أنه يعانى من العبط والسذاجة استخدم عقلك واذهب به إلى الطبيب وعالجه ولا تتركه وتطلق عليه لقب الشيخ المبروك فهذا تصرف جاهل لا يتفق مع العقل أو العلم أو الدين، لقد خلق الله العلم والطب لنستخدمه، إذا ضاع منك أى شىء ثمين فابحث عنه بالعقل ولا تذهب للدجالين الجهلة وتعتقد أنهم يمكنهم أن يعيدوا مسروقاتك عن طريق ما يعرف (بفتح المندل) هذا هو الجهل بعينه، وإذا كان الله قد وهبك العقل السليم فكيف تذهب إلى الجهلة ليحلوا مشاكلك.. اعمل العقل وفكر تستطيع أن تحل معظم مشاكلك، لا تلجأ إلى الجهلة والدجالين والمشعوذين، وإذا حِرت فى مشكلة يمكن أن تلجأ لبعض أصدقائك وأقاربك المتعلمين

الكبار الذين يتمتعون بالحكمة والرأى السليم... كن شجاعا واستخدم عقلك واحترمه ولا تأخـذ أو تتناول ما يذهب هذا العقل ويخدره أو يدمره من مخدرات ومسـكرات. هذا الكنز الثمين الموجود فى رأسك احترمه ونميه وغذيـه بالعلم والمعلومات والفكر المسـتنير والثقافة الرفيعة حتى يعود عليك بالخير والحكمة والحياة السـوية السعيدة التى تتفق معك كإنسان. خير المخلوقات. عاقل وهبك الخالق العظيم عقلا هو هدية لاتقدر بالمال ولا بأثمن شـىء فى الوجود. كن شجاعا واسـتخدم عقلك لتعرف أن الناس جميعـا أخوة لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى وأن الله محبة ومن فيض حبه لنا وهبنا العقل.

مسافر زاده الحمام

السفر عشق وهواية وفوائد كثيرة. وترويح عن النفس وركوب الصعب. وأجمل زاد للسفر هو الخيال كما غنى محمد عبدالوهاب. فالخيال يمنح صاحبه فرصة فى أن يحلق فى سماء الفكر والفن والقيم الروحية والإنسانية.

كنت أحب أن أستمع إلى الموسيقار عبدالوهاب وهو يغنى: «مسافر زاده الخيال». وأحلق معه فى كل شىء..

ويبدو أن السفر تغير، كما تغيرت كل الأشياء. أصبح زاد المسافر شيئا آخر. أصبح حماما محشيا. وفطيرا مشلتتا. وحلاوة المولد، وورق عنب. وفسيخا وسردينا، وجبنا روميا، أو أبيض. أو مشّا، أى والله مشّ، وللذين لا يعرفون ما هو (المشّ) أقول أنه نوع ردئ جدا من الجبن الملح. الذى يسبب مرض الضغط لمن يتناوله بكثرة. بالإضافة لأمراض أخرى. ولا مانع من أن يحتوى زاد المسافر أيضا على كنافة وقطايف وسد الحنك.. الخ..

زوجتى الطيبة تسافر لابنتنا نورا كل عام فى كندا. وهى قبل السفر بشهر أو أقل. تعلن حالة الطوارئ فى البيت. لتبدأ فى شراء كل

مـا تحتاجه لتأخـذه معها، وتخصـص حجرة الصالـون كجراج لهذه الأشـياء، وهى تشترى كل شـىء. من الإبرة إلى الصاروخ. أقول لها: غير معقول هذا الذى تفعلينه. اشترى ما تريدينه من هناك.. لا فائدة.. وكيف تشترى الطعام المصرى الملئ بالكوليسترول من هناك؟!.. إنه غير موجود.

أعرف أنه يمكن مثلا أن تشـترى الملابـس الداخلية القطنية كهدية لابنتنا وأسرتها لأنها غير موجودة هناك ومفيدة فى نفس الوقت.

أعرف أنها يمكن أن تشترى بعض الفُوَط والبشاكير والتماثيل المعبرة عن مصر.. لكن أن تشـترى طعاما تأخذه معها وتُغامِر به، هل يمكن أن يسمح لها بالدخول به أم لا ؟.. هذا هو الصعب.

فى زيارة سـابقة حملت زوجتى معها الحمام والبط والمبار وبعض الخضراوات. وانقض عليها كلب الحراسـة فى مطار كندا، فقام رجال الجمرك بالتفتيش اللازم وأخذوا منها كل المأكولات ووضعوها فى سـلة المهملات مما غاظها ورفع ضغطها ولكن ماذا يمكن أن تفعل؟.

لم تسـتفد زوجتى من تجاربها السـابقة الفاشـلة فى حمل الطعام والذهاب به إلى كندا، وفى كل مرة تفعل نفس الشىء وتصرف مصاريف باهظة فى كلام فارغ مجرد (شوية) أطعمة لا تفيد ولا تضر، لكن الحقيقة أنها تضر، لأن الذين يعيشـون فى الخارج، سواء فى كندا، أم أمريكا، أم حتـى أوروبا تعـودوا على طعام هذه الدول الخفيـف المفيد. الخالى

من الكوليسترول. وعندما يذهب أهاليهم إليهم حاملين هذه الأطعمة الدسمة التى ابتعدوا عنها، فإنهم يصابون بتلبك معوى. واضطراب فى المعدة، وأمراض أخرى كثيرة.

وأقول لزوجتى: حرام عليك، ارحمى نفسك من (الشيّل) وارحمى ابنتك وأسرتها من هذا الطعام غير المفيد.. يا أخى زوج ابنتك نفسه فى الفطير المشلتت والحمام المحشى والممبار، وابنتك نفسها فى الجبن الرومى والمِشّ والخبز البلدى، والأطفال عايزين ملبن محشى ونوجة وشوية لعب.

كل هذا يمكن أن تجديه هناك بدلا من البهدلة والحقائب الضخمة، وكأنك تعزّلين من بيت إلى بيت..!. أو كأنك تحملين جبل التوباد..

الواقع أن أبناءنا فى الخارج يعيشون على هامش المجتمع الجديد الذى انتقلوا إليه. فهم يعيشون فى كندا أو أمريكا أو غيرها بنفس التفكير والعادات والتقاليد، بل ويسمعون الأغنيات العربية الحديثة، ولا مانع من ذلك بالطبع، لكن المشكلة الحقيقية أنهم بذلك لا يتفاعلون مع مجتمعاتهم الجديدة ويخسرون الكثير، ويهتمون بالتفاهات، قال لى أحد المهاجرين إلى كندا مرة وأنا هناك:

تصور أننى قمت بعملية صعبة. تماما مثل عمليات المخابرات!.. كان الشاب يتكلم بثقة وغرور أشعرنى أنه قام بعملية فدائية لصالح مصر، أو هرب معلومات تكنولوجية حديثة لمصر!!.

استطرد الشاب المصرى المهاجر إلى كندا فارع الطول وعريض المنكبين ضخم الجسم، قائلا: أنا استطعت تهريب فسيخ وسردين من مصر إلى كندا!!.. أصبت بالوجوم من حديث الشاب التافه. لكنه لغبائه لم يلحظ ذلك واستطرد: إن الطعام عامة ممنوع دخوله كندا. فما بالك بالفسيخ والسردين والملوحة!.

أحضرت صفيحة السمك المملح ولففتها فى شبه لحاف. ثم لففتها بورق جرائد ثم بورق سلوفان. ثم وضعتها وسط ملابس. ودخلت المنطقة الحرة ثم مطار كندا بمنتهى العظمة والغرور ولبست شرطة كندا العِمة.

كلمات تافهة واهتمامات خطيرة.

كيف سافر هؤلاء إلى العالم الجديد؟.. وما الذى يريدون تحقيقه؟.. وهل يمكن لمثل هذا التفكير الساذج أن يحقق شيئا؟.. إننى شكرت الله على أن هذا الشاب قد ترك مصر.

والمفروض أن أبناءنا المهاجرين «يبطلوا طفاسة» ولا يطلبون أشياء تافهة وطعاما بائدا. ولا يشجعون أهاليهم على السفر بزاد ضخم من الحمام وغيره.

وما أجمل أن يسافر الإنسان بزاد من الخيال والفكر والفن ورجاحة العقل. لا بزاد من الحمام والفطير والفسيخ والمعبار والمحشى والقرع.

اغتصاب الشارع المصرى

ليس الاغتصاب هو الاغتصاب الجنسى للأطفال والبنات والسيدات فقط. هناك اغتصاب آخر يحدث يوميا فى الشارع المصرى. وفى شوارع القاهرة الساحرة الصاخبة دون أن يكون هناك رد فعل له مع أنه اغتصاب حقيقى لأعيننا وأسماعنا وإنسانيتنا.

يحدث أن تمشى فى شوارع القاهرة العامرة فى عز النهار لتقابل شلة من الشباب الرقيع (ولاد الإيه) لتسمع منهم ألفاظا تشمئز منها النفس، ويشيب لها الولدان. ألفاظ خاصة بالأم والأب والجنس المائع.. أمك.. أبو أبوك.. يا ابن .. الـــ.. الـــ.. تسمع هذا وتخجل أمام أطفالك وبناتك الذين معك. ولا تستطيع أن تتكلم وإلا تقع فى مشاجرة ليست فى صالحك. أو تسمع كلمات أخرى أكثر بذاءة وقلة أدب..!.

أليست هذه الوقاحة اغتصابا للشارع المصرى ؟.

كلنا نفضل المشى على الرصيف لأنه يحقق لنا الأمان. فهو مخطط أساسا حتى يحمى الأطفال وكبار السن والمرضى من الحوادث. لكنك تفاجأ بأن الرصيف لم يعد رصيفا. بل هناك مستويات ودرجات مرتفعة ومنخفضة.

وهـو ما لا تجده فى أى رصيـف فى العالم. فأرصفة كل دول العالم لها مستوى ارتفاع واحد. أما عندنا هنا فأكثر من مستوى بل يصل إلى ثلاثة مسـتويات. فأنت تمشـى على الرصيف لتصعد سُلما ثم تهبط ثم تصعد درجتـين وهكذا. هذا إذا وجدت مكانا علـى الرصيف لأنه أصبح الآن مسـرحا لبيع الفاكهة وأدوات التجميل والأمشـاط والفلايات والملايات والشـمبوهات والباروكات.. ومما يزيد الطـين بلة، كما يقول الأدباء، أن أرض الرصيف ليسـت كلها من الأسفلت. فقد تفنن العباقرة أصحاب الدكاكين والمحلات فى تغيير أرضيته وبدلا من الأسـفلت وضعوا بلاطا مختلف الألـوان والأحجام، فأصبح الرصيف كرنفـالاً ومهرجانا دون مناسـبة، وليت الوضع ينتهى بذلك بل زيادة فى الرفاهية والشـياكة صنعوا أرضية الرصيف من الموزايكو الناعم لتشـعر وأنت تسـير عليه وكأنك ترقص الهولاهوب أو التشاتشاتشـا. ويمكن بالطبع تنزلق قدمك الكريمة من شـدة نعومة الموزايكو فتسـقط على الأرض لتنكسـر قدمك أو ذراعك أو رأسك لا سمح الله!.

ليس اغتصاب الرصيف هو اغتصاب للشارع المصرى؟..

وشـوارع القاهرة العامرة، وكذلك شـوارع المحافظات تشهد يوميا افتتاح محلات جديدة فى شـتى المهن والأعمال، هذا دكان بيع طماطم وكوسة وقرع، وذاك دكان حلاقة للرجال والسيدات. وأحيانا حلاق حمير..!.

ومـا أكثر افتتاح محلات عصير القصب والفخفخينـا ودلعينا أو الليمونيتا أو اللبنيتا. هذه المحلات عندما تفتتح فى الشارع الذى تسكن فيه فاعلم أن الله سبحانه وتعالى غير راض عنك وعن السكان لأنك لن تنام هذه الليلة الليلاء بل سـتقتحم أصوات الموسيقى والغناء والخبط والرزع والهيصة والزمبليطة حجرة نومك ثم الجهاز العصبى لسـيادتك لتشعر بصداع وآلام فى كل جسمك.. وأليس هذا اغتصابا للشارع المصرى؟.

هذا بالطبع غير مواكب الأفراح والليالى الملاح التى تسـير يوميا فى الشارع وتعطل المرور. بل إن أصحاب هذه المواكب يعطلون عربات المطافئ والإسـعاف والإنقاذ عن أداء عملها. ويعتبرون أنفسـهم أحق فى السـير مع الموتوسكلات والدراجات البخارية والزمامير والسـارينات وفى كل الشـوارع وأمام أقسـام الشـرطة. وعلى عينك يا تاجر. ولا أحد يجـرؤ أن يطالبهم بخفض الأصوات المزعجة وسير فى هدوء وعدم تعطيل المرور!.

أليس هذا اغتصابا للشارع المصرى؟.

أما أحـدث أنواع الاغتصاب فتتجلـى فى الباعة الجائلـين والروبابيكيا. وهؤلاء الباعة ليسوا جددا فى الشارع المصرى. بل هم قدامى قدم مدينة القاهرة السـاحرة. ولكنهم يجمعون كما يقول المفكرون بـين الأصالة والمعاصرة. فهم يسـتخدمون أحدث أنـواع التكنولوجيا فى الدعاية لأنفسـهم وهو الميكروفون بالبطاريـة وهذا يمثل المعاصرة. هكذا تمثل عربـات الباعة الجائلين الأصالة

والمعاصرة. فهى عربة من الخشب يجرها حمار ثم يستخدم صاحبها الميكروفون للإعلان عن نفسه وعن وجوده ليصل الصوت إلى بيتك وإلى أذنك ليسبب لها طرشا مبدئيا وهو ما يعانى منه كل المصريين تقريبا.. وتسمع الرجل يصيح:

بيكيا .. كل حاجة قديمة للبيع. أجهزة كهربائية. تحف. أدوات مطبخ. بطارية عربيـة.. كل حاجة قديمة للبيع.. ثم يأتى بائع آخر وبنفس الطريقة يعلن عن نفسه ويقول: العسـل يا عسل.. العسل الأبيض والأسود والطحينة. العسل والطحينة أكل الباشوات والبهوات يا عسل.

هكذا يغتصب الشـارع المصرى يوميا وأكثر من مرة، ولا أحد يحاول إعادة الهدوء إليه. الجميع يشـاهدون ويسمعون ويرون لكنهم يطبقون المثل القائل: (لا أرى لا أسمـع لا أتكلم). الجميع يعانون ويتألـمون لكنهم يتذكرون مقولة سعد زغلول باشا: مفيش فايدة!.

يحدث هـذا وهناك قانون لضبط الشـارع المصرى. وهنـاك قوانين جديدة للبيئة صارمة.. ولكن .. ولكن مرة أخرى يبدو أن هذه القوانين قد حصلت على إجازة دون أجر وسافرت للعمل فى الدول العربية. ولذلك فكل من يزور الدول العربية ويعود إلى مصر يتحدث عن شوارعها الجميلة الهادئة ومرورها المنظم المنساب فى ليونة واحترام الناس هناك للشارع والمرور.

وأقـول لأولاد بلـدى: حرام أن نغتصب الشـارع المصرى بأنفسـنا وكفاية ما يحدث من اغتصاب آخر والله يحمينا من هذا وذاك.

يا خفى الألطاف نجنا مما نخاف.

يا عزيزى كلنا فلاسفة

بعض الناس. أو معظمهم. يخاف ويقلق من كلمة فلسفة، وإذا تحدثت معه فى أى موضوع ولم يفهمك. يقول لك على الفور: بلاش فلسفة، وليس هذا عيب، الفلسفة بقدر ما هو عيب الذين درسوها فى الماضى، ثم تفرغوا لتدريسها فى المدارس والجامعات. فبعضهم اعتقد - خطأ - أن كل ما هو صعب أو غير مفهوم فلسفة. مع أن كلمة فلسفة فى حد ذاتها معناها حب الحكمة. ومن منا لا يحب الحكمة ويتمناها ويعمل من أجلها؟.

والكلمة ليست عربية الأصل وإنما هى يونانية تنقسم إلى قسمين. «فيلو» بمعنى حب، و «سوفيا» بمعنى الحكمة. فتكون الكلمة «فيلوسوفيا» أى حب الحكمة. وقد دخلت وعرفت فى كل لغات العالم بنفس الاسم فلسفة أو فيلوسوفيا. والفلسفة ليست صعبة. أو ليست غريبة على الإنسان. فالإنسان فيلسوف بطبعه، دون أن يدرى. ألم تسأل نفسك يوما لماذا خلقت؟.. ولماذا أعيش؟.. وماذا بعد الحياة.. وهل الجنة والنار حقيقة أم لا؟.. وإذا كنت قد تساءلت هكذا. فهذه فلسفة. بل هذه قمة الفلسفة فأشهر الفلاسفة بدأوا فلسفتهم بهذه الطريقة.

سقراط أبو الفلسفة أخذ يفكر فى مشكلة الوجود وهل يوجد خالق لهذا العالم أم لا؟.. وبعد تفكير وتمحيص وتأمل اعترف بوجود الله. وأخذ يعلم الشباب من تلاميذه ضرورة الإيمان بهذا الخالق. ثم استطاع سقراط أن ينزل الفلسفة من السماء إلى الأرض. أى من مجرد التفكير فيما بعد الطبيعة والخلق والخالق إلى واقع الإنسان ومصلحته وحياته وقيمه، فأخذ يسأل الناس عن معنى الفضيلة والشجاعة والطهارة والصدق ويستخدم أسلوب التهكم والتوليد فى الوصول مع تلاميذه ومحاوريه إلى المعنى الذى يريده بعد مناقشتهم على لسانهم. ثم أخذ يدعو الشباب إلى التحلى بالفضيلة وحب الخير وعدم الانتحار لأن الإنسان لم يخلق نفسه وبالتالى ليس من حقه أن ينهى حياته. ولأن سقراط كان يكشف الشخصيات الضعيفة التى لا تؤمن بالقيم التى تنادى بها، بل كانت تتاجر بالكلمات والقيم الأخلاقية فقد اضطهدوه وأرادوا أن يتخلصوا منه واتهموه بأنه يفسد الشباب ولا يحترم القوانين ويشكك فى الآلهة. ولم يهتم سقرط وتقدم للمحاكمة بشجاعة واعترف بآرائه وكشف زيف خصومه. وحُكم عليه بالإعدام، ولم يهرب على الرغم من إتاحة الفرصة له للهرب، وقال فى ذلك أنه يجب علينا احترام القوانين. وتقدم وشرب وتجرع كأس السُم حتى الثمالة سنة ٣٩٩ ق.م وضرب أكبر مثل فى كيفية استشهاد الإنسان من أجل مبادئه وقيمه.

وحتى الآن نجد من يؤمن بـــاله ومن ينكره، ومن يتاجر بالكلمات، ومن يستشـــهد من أجل فكره ومبادئه. فكلنا مثل ســـقراط نفكر، ولكن بعضنا يخاف من أن يفكر أو يدعوه أحد ليفكر، مع أن الفكر عمل يومى كالطعام والشراب.

ونحن نقول فى أمثالنا الشـــعبية: «خير الأمور أوسطها» وكثير منا يؤمن بالوســـطية هذه، لايحب المبالغة فى الأشياء، وهذه أيضا فلسفة، بل هى فلســـفة أرســـطو تلميذ أفلاطون تلميذ ســـقراط. فقد كان أرسطو يـــردد إن الفضيلة وســـط بين رذيلتين. التهور رذيلـــة والجبن رذيلة، أما الشـــجاعة فهى الفضيلة الوسط بين تلك الرذيلتين وكذلك الإسراف رذيلـــة، والبخل رذيلة، والفضيلة الوســـط بينهما هـــو الكرم، وهكذا الفضيلة دائما فى الوســـط أو الوســـطية التى يؤمن بها الكثيرون دون أن يعرفوا أنها فلسفة.

فـــى حياتنا العاديـــة اليومية نجـــد البعض يميلـــون إلى التدين والتصوف، على العكس من بعض آخر يميل إلى اللذة والمتعة ويبحث عنهما فى كل مكان. وكل منا يجد فى نفسه ميلا نحو هذه الطريقة أو تلك، حتى هذه أيضا فلســـفة لها أصحابها والمنادون بها، فهناك جماعـــة الرواقية، وجماعـــة الأبيقورية، والكلبيـــة والقورنيائية. المدرسة الكلبية تزعمها «أنتستين» ونادى بالزهد والتعلق بالفضيلة والتجرد من اللذات. وجاء بعده تلميذه «ديوجين» الذى جعل الكلب

نموذجا يحتذى به في حياته الزاهدة. ثم نشأت فلسفة الرواقية بعد المدرسة الكلبية تنادى بتعاليمها الزاهدة المتزمتة. على الجانب الآخر كانت الفلسفة أو المدرسة القورنيائية التى تزعمها «أوستيوس» ونادت بأن اللذة هى غاية الحياة. وهى الخير الحقيقى لأنها تلبى نداء الطبيعة ومن ثم آمن أتباعها بالمثل القائل: «ساعة الحظ لا تعوض» وانكبوا على اللذات والشهوات يغترفون منها ما يقدرون، وجاءت المدرسة الأبيقورية بعد ذلك لتؤكد الإيمان باللذة والحظ والمتعة.

إذن يستطيع أن يجد كل إنسان، وأى إنسان، صدى لآرائه وتصرفاته فى المذاهب الفلسفية. لأن هذه المذاهب تعبير عن الحياة. ولأن الفلسفة فى حد ذاتها هى طلب الإنسان للحكمة. وهذه الحكمة تختلف من إنسان إلى إنسان وعلينا جميعا المزيد من البحث والتفكير حتى نصل إلى الحكمة الحقيقية.

حتى الانتحار نوع من الفلسفة. فقد نادى الفيلسوف الألمانى المتشائم «شوبنهاور» بأن الحياة ليس لها معنى وهى سخيفة حزينة كئيبة ومن هنا وجب على الإنسان الانتحار.. الطريف أن هذا الفيلسوف نفسه لم ينتحر.. بل كانت فلسفته مجرد كلام فقط!.

كلما أتيحت لى الفرصة فى الهرب من الحياة الحديثة التكنولوجية لأذهب إلى الريف أو شاطئ البحر أفعل ذلك وأسعد بالطبيعة

والجمال والهواء. ثم أتذكر قول الفيلسوف الفرنسى المعروف «جان جاك روسو»:

«الحضارة تسلب المرء السعادة» فعلا السعادة الحقيقية فى البساطة. فى الوقوف على شاطئ البحر بالملابس الخفيفة والانطلاق فى أحضان الطبيعة التى هى جزء منا ونحن جزء منها، وصدق روسو فى دعوته إلى العودة إلى الطبيعة.

قد تسأل عزيزى وصديقى القارئ ماذا أقصد من كتابة هذه الكلمات؟.. ولماذا غصت فى المذاهب الفلسفية هكذا؟..

الحقيقة أننى أهوى الفلسفة. وأعتبر كل إنسان فيلسوفا، وهذه حقيقة، ولأنى أهواها وأحبها فأنا أريد الجميع مشاركتى فى هذه الهواية اللذيذة التى تتفق مع الإنسان. فالله سبحانه وتعالى فرق بين الإنسان والحيوان بنعمة العقل. والعقل هذا أساس التفكير. والتفكير ما هو إلا فلسفة. ولذلك نستطيع القول بأن الإنسان حيوان فيلسوف. له رأى فى كل شىء فى الوجود. حتى الطعام الذى نتناوله يوميا البعض يفضله مطهيا بطريقة معينة. والبعض الآخر بطريقة أخرى وهكذا. كل إنسان له رأى. له فلسفة خاصة به.

وإذا كان الإنسان حيوانا فيلسوفا فعليه احترام فلسفة الآخرين وحريتهم فى التعبير عنهم. فالفلسفة تدعونا إلى احترام الرأى والرأى الآخر، فلا نستطيع أن نقول عن رأى معين هو الحكمة عينها. وإنما

الذى نستطيعه هو احترام الرأى والاجتهاد لمعرفة الجوانب الأخرى والآراء المتباينة، والاختلاف ظاهرة صحية. مادام مبنيا على الاجتهاد والفكر، وليس لمجرد الاختلاف. والتباين والاختلاف فى الفكر والفلسفة والأخلاق والعادات والتقاليد هو الذى صنع لنا التراث الفكرى الإنسانى الغنى الذى يتوج جبين الفكر العالمى الآن.

على أننا يجب أن نعرف أن امتلاك الحقيقة الكاملة عملية صعبة جداً. وكما قال الفيلسوف أرسطو:

(امتلاك الحقيقة الكاملة صعب جداً، وتكاد تكون مستحيلة) ومن هنا فنحن نكمل بعضنا. البعض يمتلك جزءا من الحقيقة. البعض الثانى يمتلك جزءا آخر، والبعض الثالث يمتلك جزءا ثالثا.. وهكذا لايستطيع إنسان واحد أن يمتلك الحقيقة كاملة، وحتى الجموع يمتكلون جزءا.

-قد يكون كبيرا أو صغيرا- من الحقيقة، وهذا يجعلنا نهتم بالتعاون فى البحث عن الحقيقة. ونحترم معلومات ورأى الغير فى هذا المجال.

من هنا يتمنى كاتب هذه السطور أن تقرر مادة الفلسفة على تلاميذ المدارس والجامعات حتى يتأكدوا أن الإنسان وحده لا يستطيع امتلاك الحقيقة الكاملة، وأنه فى مجال البحث يجب التعاون من أجل الوصول إلى الحقيقة. كما تدرس مادة الفلسفة بالنسبة للصبية فى بداية شبابهم لتدفعهم إلى التفكير والتعبير عن آرائهم، واحترام الرأى والرأى

الآخـــر، وأن رأيين أصوب من رأى واحد، وثلاثة آراء أفضل من رأيين، وهكذا، وهذه فائدة الفلسفة، الاهتمام بالرأى والرأى الآخر، ومحاولة التفكير السليم أكثر من مَرة.

يا عزيزى كلنا فلاســفة، كلنا مفكرون، فلا تتنازل عن إنســانيتك، أو عقلك الذى أهداه الله لك بل اســتخدمه وفكر وارسم خريطة حياتك، وطموحاتك ومستقبلك، واعمل كما نصحنا عمنا الكبير فيلسوف فرنسا الساخر (فولتير): فكر ودع غيرك يفكر.

امسك حرامى

كنت في زيارة لأحد أصدقائى بمدينة المهندسين. وجلسنا فى الشرفة الجميلة التى تطل على جزء من الميدان، وهى منطقة جميلة حقا. نظيفة جدا. حيوية تعج بالناس والسياح ليلا ونهارا. وبينما نشرب المياه الغازية ونأكل الحلوى. قالت السيدة مها صبرى زوجة صديقى الدكتور مرجان صديق العمر: حظكم حلو حضر بائع التين.. لم يحضر الرجل منذ يومين.. سأرسل له البواب حتى يقشر لنا شوية تين.. ونظرت إلى الشارع فوجدت الرجل يقف أمام عربته الخشب. يرتدى جلبابا أبيض. وأمامه كمية كبير من التين. وفى يده ملقاط وسكين. وهو إما يقشر التين بسكينته للزبائن. وإما يخرج الشوك من يده بالملقاط. فهو فى حالة عمل دائم.. أرسلت زوجة صديقى البواب ليحضر التين.. وفجأة تكهرب الجو أمام منزل صديقى. وصلت سيارة نصف نقل وتوقفت بطريقة بوليسية. وخرج منها ضابط شرطة ضخم الجسم عريض المنكبين. يرافقه أمين شرطة مفتول العضلات. وأمسك الأمين بعربة التين. وفى وسط الشارع قلبها عن آخرها. فامتلأ الشارع بالتين والقشر. وتوقف المرور. وارتفعت أصوات السيارات لتحطم هدوء المنطقة.

وفى هدوء ممقوت مستفز حمل أمين الشرطة عربة التين الخشب. يساعده سائق سيارة الشرطة وقذفوا بها فى السيارة نصف النقل.. تساءل الحاضرون ما هذا الذى حدث؟.. فكانت الإجابة.. إنهم رجال البلدية وقبل أن تترك سيارة الشرطة المكان، أمر الضابط بائع التين أن يجمع التين من وسط الشارع ليضعه بجوار الرصيف. وفعل البائع هذا وهو يبتسم. منتهى الهدوء والطاعة. إنه ابن البلد الذى يعرف أنه لافائدة من مناطحة السلطة. أو الوقوف ضدها.

لم يستطع بائع التين أن يجمع التين كله وينقله بجوار الرصيف. فقد حولت السيارات الكثيرة التين إلى طين، طحنته ومزجته بالتراب فتحول إلى نوع خاص من الطين.. ويبدو أن هناك ذبابة شاردة خبيثة كانت تطير وتتصعلك فى مكان الحادث. شاهدت ما حدث. فدفعها السرور إلى إرسال فاكس إلى أهلها وعشيرتها للحضور فورا إلى المكان. والتهام الوليمة التى أعدها رجال البلدية. وما هى إلا دقائق حتى وجدنا جيوش الذباب تهرول وتنتشر فى كل مكان فوق التين الذى تحول إلى طين. ولم تأت جيوش الذباب وحدها وإنما اصطحبت معها بعض الفرق الخاصة من الناموس كبير الحجم.

حدث هذا وأنا فى الشرفة أشاهد فصول المسرحية الهزلية المأساوية التى يقوم ببطولتها ضابط البلدية ومن معه. فبعد أن كنت أهيم إعجابا بالشارع ونظافته وجماله إذا بالشارع يتحول إلى مقلب زبالة. وجيوش

الذباب والناموس تطير فى كل مكان حتى وصلت إلىَ فى الشرفة العالية بصوتها المزعج الذى يشبه صوت الطائرات الهليوكبتر. ووجدت نفسى أتحـرك بطريقة غير عادية، فقد أخـذ الناموس يمزح معى فى ركبتى تارة، وفى وجهى تارة أخرى، وما خفى كان أعظم.

إن رجـال البلدية من حقهم أن يمنعوا البائع من البيع، إذا لم يدفع الضرائب أوشـغل الرصيف، أو لم يسـتخرج ترخيـص بالبيع أو يبيع بضاعـة غير نظيفة، حفاظا على صحة الناس. ولكن ليس من حقهم أن يسيئوا للشارع ويحولوه إلى مقلب للقمامة، ومرتع للحشرات.

الطريقـة التى تعاملوا بهـا مع بائع التين، أقل مـا يقال عنها أنها لا إنسانية، فهذا البائع ليس لصا لكى يستخدموا معه أسلوب «امسـك حرامى» وأتذكر هنـا حكاية حدثت لى فى قبرص. جزيرة الأحـلام، فبينما كنت أتمشـى فى مصيفها الرائع «ليماسـول» مع صديقى الراحل الفنان السيناريسـت شـنودة جرجس لعب الجوع ببطوننـا، وبخاصة عندمـا اقتربنا من كافيتريا صغـيرة تقع على الشـاطئ مباشـرة، نظيفـة جدا، تتصاعـد منها رائحة الشـواء، والشباب والشـيوخ يتجمعون حول مقاعدها يلتهمون مالذ وطاب، اقتربنا من الكافتيريا وجلسـنا فيها على الشـاطئ الجميل فى ليلة صيف مقمرة نتهافت على نسـمات الهـواء العليل، وطلب كل منّا ساندويتش «سوفلاكى سوفاركى» وهو نوع من الكباب، لحم مشوى.

ومن عجب أن الساندويتش فى حجم رغيف الخبز البلدى بتاع زمان وهو مليء باللحم المتساز، وكل هذا بأقل من جنيه قبرصى «حوالى سبعة جنيهات مصرية» وحتى بالمصرى يصبح رخيصا جدا فاللحم اللذيذ الذى يحتويه لا يقل عن ربع كيلو جرام من الكباب بالإضافة إلى السلطة، ثم الخبز، ثم الجلسة والمكان الجميل نفسه .. اكتشفت بعد ذلك أن الذى يدير هذه الكافيتريا الجميلة ويعمل بها أفراد أسرة واحدة الجد يجلس على «الكيس» للحساب، والأبناء موزعون بين الطهى، وإعداد المقبلات، والأحفاد يقدمون الطلبات للزبائن بابتسامة جميلة، ونشاط ملحوظ. وعندما تحدثت إلى الجد عرفت أنه جاء إلى المكان على الشاطئ وأقام كافيتريته دون ترخيص من الحكومة، وعندما شاهد المسئولون الكافيتريا وإقبال الناس عليها، وبخاصة السياح، فإنهم فرضوا عليه ضرائب مضاعفة، وهو يدفعها بانتظام لأنه يعرف خطأه، وبهذا تأخذ الحكومة حقها المشروع، وتساعد فى رواج السياحة القبرصية.

وأنا هنا لا أشجع الخروج على القانون، وإنما أريد من الدولة أن تأخذ حقها بطريقة حضارية محترمة، أما القذف بالطعام والخضراوات والفاكهة فى نهر الطريق ونشر الفوضى والقذارة وتعطيل المرور، وتلبيخ الأرض، وتشجيع جيوش الذباب والناموس على الهرج والمرج ومضايقة الناس فهذا نفسه خروج على القانون، وإساءة للبيئة النظيفة الصحية التى نعمل بجد ونشاط من أجلها.

يا رجال البلدية الشجعان الأفذاذ الأقوياء ابحثوا عن طريقة جديدة لانضباط الشارع المصرى. واتركوا الطرق التقليدية البالية التى تساعد على عدم الانضباط وبطلوا أسلوب.. امسك حرامى.

بعد تسليم أصول هذا الكتاب فى شهر أغسطس سنة ٢٠١٠ لدار المعارف لطبعه ونشره.. حدث مع بداية يناير عام ٢٠١١ حادث الشاب محمد بوعزيزى فى تونس. الشاب البسيط الذى لم يجد عملا وهو حاصل على شهادة جامعية فاضطر إلى بيع الخضراوات حتى يجد لقمة العيش. ولما منعته الشرطة عن بيع الخضراوات أحرق نفسه وكانت بداية شرارة ثورة تونس العظيمة ثم مصر.

وسبب الثورة هو نفس الموضع الذى تحدثت عنه فى المقال السابق.

دقى يا مزيكا

الناس لابد أن تفرح، وما أجمل الفرح إنه فرح!!.

كثيرا ما أستلم دعوات الأفراح، وأفرح لفرح الناس، وأنتظر يوم الفرح لأجامل الناس وأفرح معهم. لكننى دائما أتوجس وأخاف من السهرات الملاح التى تعقب الأفراح، فهى توجع دماغى وتصيبنى بالصداع عدة أيام.

أذهب لهذه الدعوات رغما عنى. وحتى لا يغضب منى أقربائى وأصدقائى. وما أن يبدأ الحفل ودقى يا مزيكا وتبدأ العروس وصلة رقص لا تنتهى إلا بنهاية الحفل. فقد استغنى أصحاب هذه الحفلات عن الراقصات واستبدلوهن بالعروسات.

وأستمع للموسيقى الصاخبة. وأقول لنفسى: مش ممكن دى تكون موسيقى!.. هذه ليست موسيقى ولا مزيكا ولا ميلودى!.. هذه هوسة وزيطة وزمبليطة وخبط ورزع ورقع. وأشعر أنها رصاصات تصيب رأسى وخبطات فى نفوخى!.

وأقول لقائد الفرقة وأرجوه أن يخفض من صوت المزيكا الضخم المرعب دون فائدة.. إنه ينظر إلىّ وكأننى أبله ساذج لا أقدر الفن!.

وأضطر أن أخرج خارج قاعة الحفل لشيء من الراحة ثم أعود إلى القاعة وهكذا حتى ينعم الله علينا بالنهاية والهدوء.

وأشفق على العروسين من كثرة الرقص والقفز والتنطيط.. العروس ترقص بلدى وأفرنجى وشرقى وغربى وأندونيسى وميتسوبيشى!.

حتى يتهد حيلها، وأحيانا تسقط العروس مغشيا عليها من كثرة الإجهاد، وأحيانا أخرى يسقط بعض المعازيم فاقدى الوعى، أو فاقدى حياتهم!..

وقد حدث هذا فعلا عدة مرات.

يقف مايسترو أو مشرف الحفل ليدعو أحباء العروسين لتشجيعهما والرقص معهما فيزداد الصخب ويرتفع صوت التصفيق. ويتفنن أصدقاء العروسين فى ابتداع أشياء وتقاليد جديدة لإظهار حبهم والتعبير عن فرحتهم العارمة، فيمسك أصدقاء العريس بعريسهم ويحملونه على الأكتاف كما يحدث فى المظاهرات ويظل يرقص وهو فى هذا الوضع الكاريكاتورى حتى يظهر عليه الإعياء!.

من البدع التى ابتدعها أصدقاء العروسين هو أن يحمل بعضهم علب (البيروسول) هذه مع إشعالها فتخرج نارا من فتحتها تثير الرعب والخوف، فهى نار مشتعلة على هيئة ألسنة مختلفة. وتصور أنك فى حفل فرح ووجدت هذه النار المشتعلة الموقدة تولع من حولك؟ إنه الرعب الحقيقى لأن زحام الفرح مع وجود أسلاك كثيرة متشابكة للكهرباء مع

وجود هذه النار الصافية المرعبة يمكن أن تحرق الفرح بمن فيه، أو على الأقل يمكن أن تحيل الفرح إلى مأتم.. والذى يغيظ كاتب هذه السطور حتى الفرقعة أنك لا تجد من ينصح هؤلاء الشباب المتهور بالكف عن هذه العادة الذميمة من أجل سلامة الجميع.

الحقيقة أن حفلات الأفراح هذه الأيام أصبحت بهدلة ما بعدها بهدلة وبخاصة للعروسين، فمع الرقص والقفز والتنطيط لمدة ساعتين أو ثلاث ساعات يضيع مكياج العروس الذى كلفها مئات الجنيهات، وتضيع تسريحتها الجميلة وبسبب الحر تختلط ألوان أصباغ وجهها فتضيع معالم وجهها، ويحدث هذا مع العريس أيضا ولكن بدرجة أقل، بهدلة ما بعدها بهدلة، فإذا أضفت إلى كل هذا المجهود الكبير فى الرقص والدانس فإن العروسين سيخرجان من الحفل إلى السرير بحثا عن النوم العميق والراحة، وتضيع ليلة العمر يا ولدى، ولن أتحدث عن المعازيم أو حضور الحفل، فإنهم أيضا يعانون كثيرا يكفى صوت المفرقعات الموسيقية وطبول الحرب والصخب التى تؤدى إلى الطرش المستعجل وأسأل نفسى: لماذا لا نفرح ونرقص ونهيص فى هدوء.. إننا فعلا لابد أن نفرح ونسعد أنفسنا ونرقص ونطرب ونغنى ونصفق ولكن فى حدود المعقول، أو المناسب حتى لا نخرج من الأفراح ونحن فى حالة بهدلة كاملة وإعياء مميت، وحتى يستطيع العروسان التمتع

بليلتهمـــا. وهى ليلة العمر، فى هدوء وســـلام وفـــرح حقيقى، ثم يخرجـــان من الحفل إلى بيتهما أو أى مكان وهما موفورا الصحة فى كامل اللياقة البدنية التى تســمح لهما ببدء شهر العسل.. وعقبال عندكم.

ودقى يا مزيكا.. ولكن فى هدوء فالهدوء نعمة وصحة وحضارة.

الانضباط والانحطاط

ألقى الدكتور صلاح عيد الأستاذ بجامعة قناة السويس، وأحد علماء مصر المتواضعين فى صالون الدكتور وسيم رشدى السيسى الفكرى والأدبى الذى يعقد ببيته فى المعادى، محاضرة عن تأملاته فى جوانب حياتنا هذه الأيام. وركز فى تأملاته على المستوى الأخلاقى السيء جدا، فهو يسمع يوميا كلما مشى فى الشارع ألفاظا وشتائم مقززة خارجة تجرحه نفسيا من الشباب. واقترح الدكتور صلاح عيد أن تكون هناك غرامة فورية مادية لكل من يسب أو يشتم ويستخدم ألفاظا وشتائم يعاقب عليها القانون خاصة بالشرف.

الواقع أن الصديق الدكتور صلاح أثار شجونى وكأننا كنا نفكر سويا، فالمستوى الاخلاقى للمصريين تدهور بشكل ملحوظ، وأصبحنا نسمع على قارعة الطريقة ألفاظا جارحة وسَبًّا و «لعنا» دون خجل من صاحبها.

أصبح شرف الأم يخدش ويلعن بمنتهى السهولة، فما أسهل أن يسب شاب آخر ويقول له .....أمك.....، يا ابن الـ.....، ..... و...و.. مع سب الدين، وألفاظ قبيحة خارجة. يكفى كل

لفظ منها لأن يذهب بصاحبه إلى السجن. يحدث هذا أمام الجميع في الشارع وفي العمل وفي النادى، وفي المدرسة. وفي كل مكان. ويشعر الناس الطيبون بالخجل، وتحمر وجوههم. لكنهم ينسحبون بسرعة من مكان قلة الأدب هذا. لأنهم لو حاولوا إرشاد الشباب إلى ضرورة التلفظ بألفاظ أخلاقية والتخلص من الألفاظ النابية التى يستخدمونها فقد يتعرضون إلى نفس الشتائم توجه إليهم. أو إلى البهدلة دون سبب.

العجيب أن الشرطة تهتم بالانضباط. ومفهوم الانضباط عندها هو احترام إشارة المرور. وعدم عبور ميدان رمسيس الآن مثلا من وسطه. أو عدم القفز على الأسوار العالية واحترام النظام فى الشارع.

وهذا كله جيد. لكن الواقع والضرورى والمهم الآن هو أن يعمل الانضباط على تخليصنا من الانحطاط الأخلاقى الفاسد الذى نعانى منه. ويعانى منه وبشراسة الشارع المصرى. إن شبابنا يتفنن يوميا فى اكتشاف كلمات يضيفها إلى قاموس القباحة ويستخدمها فى علاقاته، لدرجة أن جملة - يا ابن الكلب - أصبحت شتيمة قديمة بسيطة مؤدبة.

المصيبة أو الطامة الكبرى أن البنات أصبحن يستخدمن نفس الألفاظ والشتائم الجنسية والدينية القبيحة مع بعضهن، إما فى المشاجرات والخناقات. وإما فى الهزار السخيف والفكاهة.. إننى أشعر بخجل شديد عندما أسمع فتاة فى عمر الزهور تسب زميلتها وتشتمها بألفاظ

فجة نابية تتحدث عن أمها وتسيء لشرفها. وأقول لكم الحقيقة. أكاد أبكي من حزني الشديد على شبابنا، وأتمنى وقتها أن تبلعني الأرض من كثرة خجلي وشدة كسوفي.

إنهن يغتلن البراءة والأنوثة الجميلة الحلوة التي يجب أن تكون بريئة دائماً وألفاظها سعيدة نظيفة وأخلاقية وردية.

الانضباط الحقيقي أن نتخلص من الانحطاط الأخلاقي الذي يجثم على صدورنا كالكابوس.

وكاتب هذه السطور يتعجب لما يحدث يوميا في الشارع المصري من شتائم كالقذائف. والكل يسمع ولا يفعل شيئا لحماية أجيالنا القادمة من هذه السقوط والانحطاط الأخلاقي.

وأشعر أن حل هذه المصيبة أو المشكلة أو المستنقع الأخلاقي الذي وصلنا إليه ليس في يد جهة واحدة أومؤسسة بعينها، وإنما يجب أن تتكاتف وتتعاون المؤسسات التي تخاطب الشباب، بل وتخاطب الأطفال أيضا إن دور المدرسة مهم جدا، ألسنا نطلق على وزارة التعليم وزارة التربية والتعليم؟!.. وإذا كانت وزارة التربية والتعليم قد فشلت في التعليم فإننا نرجو لها أن تنجح في التربية حتى يكون لها دور في حياتنا.

ولدور العبادة أهمية خاصة في تحقيق الانضباط وتخليصنا من الانحطاط الأخلاقي الذي وصلنا له. المسجد والكنيسة. ودرس الجمعة وخطبة الجمعة ومدارس الأحد والقداسات. ودروس الدين على اختلافها، والدين في حد ذاته ثورة أخلاقية.

ولا ننس دور البيت، الأب والأم أو العائل فهذا دور مباشر مهم.

النـوادى لهـا دور كبـير بالطبع فى نشـر الأخـلاق والتخلص من الانحطاط، علينا أن نحاسـب حتى نجوم الرياضة على استخدام الألفاظ النابيـة لأنهم مثل أعلى، وبعضهم للأسـف يخرج كثـيرا عن اللياقة والذوق والأدب.

ونأتى لدور الإعلام، على اختلاف وسـائله، فهـو دور مهم جدا، فـى تحقيق الانضبـاط وتخليصنا من الانحطاط الأخلاقى، ونشـر القيم الأخلاقية والروحية فى المجتمع.

أمـا رجال الشـرطة فأنـا أهيب بالسـيد وزير الداخليـة أن يحقق الانضبـاط الأخلاقى بينهم، والحقيقة أن منهم رجال على قمة الأخلاق والتدين والانضباط، لكن قلة منهم تخرج عن اللياقة وتتلفظ بألفاظ تماما كالتى يستخدمها الشباب ونريدهم أن يتخلصوا منها.

الانضبـاط الحقيقى الآن والمهم هو التخلـص من الانحطاط الأخلاقى الذى نعانى منه بشدة.

عقبال عندكم !

الذين يعيشون فى العاصمة القاهرة الساحرة. يجدونها أحيانا. أو فى معظم الأحايين. ساخرة ثائرة غاضبة باكية من كثرة الملوثات والضجيج والزحام الذى لا تعرف سببه. وضيق النفس والعصبية الشديدة وعدم تحمل الآخرين. واختفاء الابتسامة المعتادة للمواطن وهرب الضحكة المدوية التى اشتهر بها الإنسان المصرى.

وعندما يترك المصرى بلده ويسافر إلى أوربا أو أمريكا ويجد الهدوء فى الشارع والابتسامة على كل الوجوه والنظام والنظافة فى كل مكان يعقد المقارنة ويتساءل لماذا لا يجد هذا فى مصر وفى شوارعها وهى التى علمت العالم الحضارة والتقدم. وهى التى كنا نرى فيها كل هذا منذ عشرات السنوات؟.

ابنتى نورا المهاجرة إلى كندا تردد نفس هذه الأسئلة وهى ترسل إلى خطابات دورية وتحدثنى دائما تليفونيا، تحكى لى عن حياتها هناك وكيف أن الإنسان هو أهم قيمة فى تلك المجتمعات. وهى إذ تحكى لى تتمنى أن تجد هذه المعاملات فى مصر، فهى وإن هاجرت إلا إنها تحمل حبا وانتماء شديدا لموطنها الأصلى مصر أم الدنيا.

من حكايات ابنتى نورا اخترت هذه القصة الواقعية والتى أتمنى أن أراها فى مصر بالطبع.

كانت ابنتى تستقل سيارة الأتوبيس فى مونتريال بكندا وكان معها طفلها تحمله على كتفها، وبعد أن وصلت إلى المكان الذى تريده تركت سيارة الأتوبيس وبينما تمشى داخل المحطة الرئيسية نبهها أحد المواطنين على وجود لبانة فى ظهرها فأخذت تمد يدها إلى الخلف حتى تنظف ملابسها، وبسرعة وجدت ناظر المحطة المسئول يهرول إليها يسألها ماذا يمكن أن يقدم لها؟.. وعندما عرف الحكاية طلب منها أن تذهب معه إلى مكتبه. وفى مكتبه قدم لها أسفه الشديد على ما حدث وطلب عنوانها وقال أرجو أن ترسلى فستانك هذا إلى التنظيف والمكواه ونحن ملتزمون بدفع أجر ذلك ومرة أخرى نأسف على ما حدث .. ولم يمض أسبوع على هذا الحادث حتى تسلمت ابنتى شيكا من هيئة المواصلات بمبلغ كبير أكثر بكثير من ثمن تنظيف فستانها.

هذه الحادثة عادية بالنسبة لكندا وأوروبا وأمريكا لكنها غريبة وبعيدة عن القاهرة بالطبع، لذلك قالت لى ابنتى عقبال عندكم!.

الواقع أن حكاية ابنتى نورا هذه دفعتنى لتأمل حال هيئة النقل العام بالقاهرة، وبعض الأتوبيسات التى لا تستطيع أن ترى من بداخلها، أو أن يراك من بداخلها نتيجة القذارة الشديدة والتراب الكثيف الذى

تحول إلى طين وسواد وكاتب هذه السطور من هواة ركوب الأتوبيس مع أن حالته سيئة جدا. ولكن تقول إيه. أنا غاوى فقر كما يردد ابن البلد. كثيرا ما أفضل ركوب سيارات النقل العام حتى أكون مع الناس وأمشى بعض الشيء من البيت إلى المحطة وهكذا فالمشى رياضة وصحة..

المهم أحيانا أركب الأتوبيس فأشعر أن هوايتى هذه سيئة جدا فركوب أتوبيس القاهرة الكبرى أحيانا يذكرك بحكاية القطار المحروق أو حجرة الفئران، أصعد إلى الأتوبيس فأجد الزبالة فى كل مكان وكأننى فى مقلب زبالة ثم لو كان حظى بمب ووجدت مقعدا خاليا فأجلس عليه فأهبط بشدة وأشعر أننى على الحديد أو الجنط لأن الكسوة أو الحشو غير موجودة. هذا غير مسمار هنا أو هناك كفيل بأن يجرحنى أو يمزق ملابسى. وقفت مرة بجانب السائق فرأيت العجب العجاب، السائق يمسك بعجلة القيادة وليس أمامه أو تحته جهاز سليم قلت له: أين الأزرار التى أمامك؟..

ضحك الرجل فى سخرية وأجاب:

زى ما أنت شايف لا توجد أزرار، الأنوار بايظة والإشارات معطلة والفرامل يدوبك والزجاج غير موجود مع أننا لم نخرج من الشتاء إلا قريبا، والفتيس صوته عال ينقل بالعافية.. ثم أقول لك الحقيقة الأتوبيس به رائحة كريهة.. وأتساءل أين عمال النظافة الذين يجب أن ينظفوا الأتوبيس كل صباح قبل أن يبدأ العمل؟..

أين المفتشون والمهندسون الذين يجب أن يتأكدوا من صلاحية الأجهزة وكفاءتها؟.

المضحك المبكى أيضا أن الأتوبيس أحيانا يسير دون لافتة تعرف مساره وهو منطق اللامعقول.. هذه الانطباعات السريعة للأسف شعرت بها بعد رسالة ابنتى التى أثارت الأشجان حول هيئة النقل العام بالقاهرة الساحرة. وأنا هنا أتحدث عن الأتوبيسات العادية التى أستخدمها ويستخدمها معى أبناء الشعب أولاد البلد. وليس الأتوبيسات السياحية المكيفة والتى هى مريحة وتمام يا أفندم.

وأخيرا أضم صوتى لصوت ابنتى نورا وأقول:

عقبال عندنا عندما تحترم هيئة النقل العام الناس وتقدر إنسانيتهم.. وتعد لهم سيارات لنقل البنى آدمين وليست لنقل البضاعة. وأشياء أخرى لا داعى لذكرها!.

الملظلظون والملظلظات

الملظلظون والملظلظات أصبحوا فى كل مكان، تراهم فى الشوارع والمتنزهات، وعلى القهاوى والكافيتريات، وفى الأسواق والمستشفيات.

وقبل الحديث عنهم أحب أن أقول لك أن كلمة ملظلظ كلمة مصرية قديمة معناها الشىء الطرى أو السمين.

لا شك أن ظاهرة انتشار.. «الملظلظون والملظلظات».. ظاهرة واضحة فأنت تجدهم فى كل مكان فى العالم. وفى كل الدول الفقيرة والغنية. وكثيرة السكان. وقليلة السكان. من هنا اهتم المسئولون فى كل العالم بهذه الظاهرة الخطيرة وأخضعوها للدراسة والبحث. وقد يعتقد البعض أن هذه الدراسة من أجل الرشاقة والجمال وحسب. لكن الواقع أنها من أجل الصحة والاقتصاد ومستقبل البشرية. فالملظلظون والملظلظات يتعرضون إلى أمراض كثيرة مثل أمراض القلب والشرايين وأنواع من السرطان. وينتج عن ذلك انخفاض معدل أطوال العمر على عكس ما كان مأمولا. كنتيجة طبيعية للتقدم العلمى فى المجال الطبى. كما يصاب هؤلاء أيضا بانخفاض الخصوبة الذى قد يؤدى إلى عقم دائم أو مؤقت.

الأخطر من ذلك أن هؤلاء .. «الملظلظون .. والملظلظات».. يهددون الاقتصاد الدولى لأنهم لا يعملون، أو قل إن ساعات عملهم قليلة، وأمراضهم كثيرة، ووجودهم فى المستشفيات للعلاج، أو فى بيوتهم للراحة مددا طويلة تضرب الإنتاج فى أى دولة وتقلله.

إن هذه الظاهرة حقا خطيرة، وبخاصة لو علمنا أن عدد هؤلاء يزداد يوما بعد يوم، ففى مصر يقول الدكتور مجدى بدران عضو الجمعية المصرية للحساسية والمناعة: بلغت معدلات السمنة ٤٥٪ للنساء، و٢٣٪ للرجال، و١٥٪ للأطفال، وفى المملكة المتحدة تقول الإحصاءات، أن نصف السكان مهددون بالبدانة خلال ٢٥ عاما، بل إن البروفيسور (ديفيد هانتز) المستشار الحكومى هناك يقول إن التهديد الذى تشكله أزمة البدانة (اللظلظة) على مستقبل الصحة العامة فى بريطانيا لا يقل أهمية عن التهديد الأمنى الراهن من الإرهاب.

لم تعد اللظلظة شيئا جميلا، أو العِز وِز كما نقول بل أصبح العِز وِزاً والسمنة مرضا عضالا.

تقول الإحصاءات العالمية أنه خلال ربع القرن الأخير زادت نسبة السمنة ٩٠٠٪ (تسعمائة فى المائة)، وأصبح سكان المعمورة أعضاء فى جماعة: (الملظلظون والملظلظات) الذين يمشون فى الشوارع كالأتوبيسات أو الميكروباصات، ويرجرجون أجسامهم كلاعبى الأكروبات. مع بطء الخطوات.

بل إن هذه الإحصائية تبشرنا بأنه خلال القرن الحادى والعشرين سوف يتحول أكثر من نصف سكان الدنيا إلى أعضاء عاملين فى جماعة (الملظلظون والملظلظات) دون تمييز بين جنس أو لون أو وطن!.

هذه الظاهرة تمثل تحديا كبيرا للعالم، فإما أن نكون أو لا نكون. ومن الطبيعى أننا هنا نتحدث عن (اللظلظة) التى تحدث بإرادة صاحبها. أما السمنة التى تحدث نتيجة لأمراض معينة. وعلى عكس رغبة صاحبها. فإننا ندعو لهم بالشفاء العاجل. فكل إنسان معرض للمرض.

وقد أجمع العلماء والأطباء أن السبب الرئيس للسمنة هو كثرة تناول الطعام والتمتع به والتلذذ بطعمه دون الاهتمام بالنتيجة السيئة وانضمامهم إلى جماعة: الملظلظون والملظلظات.

والعبد لله. كاتب هذه السطور. تقابل مع بعض هؤلاء واندهش لطريقة وكمية الطعام الذى يظلطونه ويبلعونه بلعا. ويهبرونه كما الأسد فى الغابة.. واحد من هؤلاء تناول نصف إوزة مرة واحدة بجانب الأرز والشوربة والسلطة. وفى إحدى ليالى الصيف كنت فى الإسكندرية وخرجت مساء وجلست فى كافيتريا صاحبها بائع ألبان معروف. وكانت معى زوجتى. وبعد برهة من الوقت حضر رجل ضخم وزوجته. ما شاء الله، جميلة لكن لظلظتها أضاعت الجمال.. المهم جلس الزوجان وجاء النادل -الجرسون- وطلبت الزوجة شيئا يسمى الشيح. كما طلب

زوجها نفس الطلب. الشبح، ولم تكن معلوماتى المتواضعة تعرف شيئا عن هذا الشبح. فسألت زوجتى لكنها لم تعرف هى الأخرى.

جـاء النادل بعد ذلك بالطلبين.. وجلـس كل من الزوجين الملظلظين لتناول الشبح هذا..!.

كان الطلـب فى طبق كبير جدا يحتوى على عـدة أطباق الأول: أرز باللبن، والثانى عاشوراء، والثالث أم على. والرابع جيلاتى أو البوظا. كل هـذه الأطباق فى طبق واحد كبير. وعرفت بعد ذلك أن الأرز باللبن كانت تغطية طبقة من القشـدة. كما قـال لى النادل.. المهم أن الزوجين تناولا بالهنا والشفا الطبق الضخم. أو حلة الحلويات. بل كانا يتسابقان فى اللهط والهبر، وكنا أنا وزوجتى نشـاهدهما كما لو كنا فى السيرك القومى، أو مسرح البهلوانات، حتى إننى شعرت بأنها قلة ذوق منا أن ننظر إليهما بهذا الفضول الواضح، والعجب المثير.

مـرة أخرى كنت مدعوا لتناول طعام الغداء فى أحد الفنادق المعروفة والمشـهورة بطعامهـا اللذيذ، بالمصادفة جلسـت بجانبى إحدى أعضاء جمعية (الملظلظون والملظلظات)، سـيدة شابة فى مقتبل العمر ملامحها جميلة، لكن جسـمها من الوزن الثقيل، أو قل: الثقيل جدا. وابتسمت لنفسـى، فأنا موعود -مثل عبدالحليم حافظ- لكن ليس بالعذاب وإنما برؤية ومقابلة. «الملظلظـون والملظلظات». وجاء الطعام فقالت جارتى: يا عم أنت جايبلى شوربة.. أنا عايزة محشى. عندك محشى ولا لأ؟..

قال الجرسون: فى محشى يا مدام جاى بعد كده..

قالت السيدة الملظلظة الظريفة: أنا عايزة محشى.. أنا أموت فى المحشى .. ورق العنب، .. الكوسة الباذنجان، الكرنب والطماطم .. وضحك الجالسون. ويبدو أن الجرسون جاء لها بطلب ضخم من المحشى عليه كل طلباتها فانفردت به وتناولته بالكامل.!.

ومن أقوال أحد الملظلظين ، وكان يعانى من مرض السكر: أنا لا أسكر إلا عندما أتناول البسبوسة هى التى تسكرنى. وبخاصة إذا كانت بالقشدة!.

كيف تعيش جماعة «الملظلظون والملظلظات»؟.

إنهم يعيشون لحظتهم فيأكلون .. ويهبرون ويلتهمون كل ما يقدم لهم دون وعى أو تعقل، أو احترام لأجسادهم أو صحتهم أو مستقبلهم.

لماذا لا نتناول ما نحبه ونتذوقه بكميات قليلة مناسبة؟. حتى لا نصبح من جماعة: «الملظلظون والملظلظات».

تنابلة الأتوبيس

الأتوبيس أو سيارة النقل العام من أهم وسائل المواصلات فى العالم كله، وطبعا فى مصر أكثر لأننا شعب فقير غلبان. صحيح أن لدينا فى مصر مليونيرات ولكن أغلب الشعب يعانى شظف العيش وطوابير الخبز وغلاء السكر. ولا أريد أن أثير الشجون، لأننى متفائل جدا وأعتقد أنه سيأتى الوقت الذى تحل فيه كل مشاكلنا وننعم برغد العيش وسعادة الحياة.

الأتوبيس فى مصر يعانى هو الآخر من الزحام والتكتل وعدم القدرة على الحركة بداخله. ووجود بعض الباعة اللى دمهم ثقيل. وبعض النشالين اللى دمهم خفيف وغير ذلك.

والحمد لله إننا الآن نعرف أن ركوب الأتوبيس يجب أن يكون من الخلف والنزول يجب أن يكون من الأمام. ومعظم الركاب يفعلون ذلك، لكن هناك قلة ليست قليلة. لا يعجبها هذا النظام وتتعمد أن تثور ضده وتحطمه دون سبب واضح.

يقف الأتوبيس فى المحطة فيصعد معظم الركاب من الخلف لكن هناك واحد أو اثنان يصعدون من الأمام مكان النزول. والغريب أن

هـؤلاء الذين يصعدون خطـأ ولا يحترمون النظام من الشـباب الواعد، تجد الواحد أو الواحدة منهم فارع الطول عريض المنكبين قوى العضلات يتمتع بالصحة والعافية.. يصعد الشاب ثم بكل عظمة واستهتار يخرج ثمـن التذكرة ويعطيهـا لأول راكب، وعلى هذا الراكب أن يسـلم ثمن التذكـرة إلى الذى خلفه وهكـذا يعمل أكثر من عشـرة مواطنين ركاب من أجل هذا الراكب بسـلامته الذى لا يريد الركوب من الخلف حيث يجلس المحصل فى آخر الأتوبيس ليقدم للناس التذاكر. وبعد رحلة ثمن التذكرة من الأمام إلى الخلف يتسـلم المحصل «الكمسارى» ثمن التذكرة ويخرجهـا ويعطيها لآخر راكب حتى يمررها مـرة ثانية من الخلف إلى الأمام فى رحلة بايخة سـخيفة وسط الزحام، والركاب يفعلون ذلك رغمـا عنهم وحتى لا ينهرهم أحد قائـلا يا عم عديها وخلاص إذا كان الكمسارى قطع التذكرة هتعمل فيها أنت منظم!.

هكـذا فى كل مرة أركب الأتوبيس ألحظ هـؤلاء.. تنابلة الأتوبيس الذين يعز عليهم أن يكونوا مثل خلق الله ويصعدوا من الخلف ويصرفوا التذكـرة من المحصل الجالس بجانب الباب الخلفى مباشـرة، وتكون رحلـة التذكرة مـن الأمام إلى الخلف ثـم إلى الأمام مـرة أخرى حتى يسـتريح التنبل ويضـع التذكرة فى جيبه بعد أن أثـار ضيق الركاب.. والغريب أنه يعتبر عمله هذا بل خطأه شـيئا عاديا. وإذا اعترض أحد الركاب فينظر إليه وكأنه إنسان جاء من عالم آخر.. والغريب أيضا كما

قلت إن تنابلة الأتوبيس أو هواة عدم احترام النظام هؤلاء ليسوا كبارا في السن أو مرضى حتى نساعدهم ونأخذ بيدهم. بل هم عمالقة شباب يتدفقون حيوية ونشاطا!.

والسؤال الذى يفرض نفسه هو: لماذا يسمح سائق الأتوبيس لبعض الركاب بالصعود من الأمام وهو ممنوع؟.

ثم لماذا يسمح المحصل أن ينتظر ثمن التذكرة حتى يصل إليه بعد وقت. ويمكن أن يصعد أحد الركاب من الأمام ولا يرسل ثمن التذكرة؟.

وغير هذا وذاك لماذا لا يمتنع الركاب عن تشجيع تنابلة الأتوبيس وأخذ ثمن التذكرة وتمريره فى رحلة الذهاب والعودة لإجبار الراكب المخالف على الصعود من الخلف والتعامل مع المحصل مباشرة؟.

إننى أرى هذا الموضوع البايخ كلما ركبت الأتوبيس. والناس الطيبة البسيطة تساعد تنابلة الأتوبيس على تحطيم النظام وأقول لنفسى: أليس هذا مظهرا من مظاهر تخلفنا العديدة؟!.

الموعظة الحسنة

نحن نؤمن بأن فلسفة الأديان واحدة، وهدفها واحد فى النهاية، أى دين يدعو إلى الخير والسلام، والحب والوئام، واحترام الإنسان لأنه إنسان، دون اعتبار إلى وطنه أو جنسه أو لغته أو لونه، أو أى اختلاف بين الإنسان وأخيه الإنسان. فالله سبحانه وتعالى خلق الإنسان ليكرمه ويسعده ويدفعه إلى أن يتمتع بهذا العالم الجميل الذى خلقه له. فالشمس تشرق على كل البشر، والقمر يضيء لكل إنسان، ونسمات الهواء العليل -على شواطئ البحار والأنهار- تنعش كل الخليقة. وبخاصة أثناء الحر الشديد، بل إن هذا العالم الجميل والطبيعة الساحرة يتمتع بها الحيوان أيضا، أليس للحيوان روح تشعر وتتألم وتتمتع ؟.

وإذا كان الله. جل جلاله، يعامل الناس سواسية. لا يفرق بين إنسان وآخر فى عطائه للطبيعة، وللخير فكيف للإنسان أن يضع فروقا بين نفسه والآخرين؟.. ويميز نفسه عن غيره دون احترام إرادة الله نفسه؟.. إن فلسفة الأديان واحدة، والله يريد السعادة والخير للجميع. وقد أرسل رسله المكرمين لنشر الإيمان به. وتحقيق مشيئته فى سعادة الإنسان

وخيره عن طريق القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية التى جاءت بها الرسالات السماوية كلها. بل واجتمعت عليها كلها. ولم تتناقض فى بعضها، أو فى واحدة منها. فكل الأديان تدعو إلى الحب والسلام والخير والأمانة والرحمة والعطف على الفقراء. وزيارة المرضى. والأخذ بيد الضعيف العليل المحتاج. ومساعدة الأرامل والأيتام.. كذلك حرَّمت الأديان السماوية قتل الأبرياء أو ظلم الضعفاء. أو السرقة، أو نهب مال اليتيم، أو تعذيب الآخرين وقطع أرزاقهم، أو حتى معاملة الآخرين معاملة سيئة غير إنسانية، أو التحدث عن الآخرين فى غيابهم بالسوء.. حتى الأموات تطلب منا الرسالات السماوية كلها أن نذكرهم بالخير:

(اذكروا محاسن موتاكم). فلسفة الأديان كلها واحدة، تدعو إلى الإيمان بالإله الواحد، وتحقيق مشيئته فى عالم يسوده الخير والسلام.. لكن الإنسان ينسى دائما الجوهر ويبحث عن التفاصيل غير المهمة وغير الجوهرية، ومن هنا نشأ الخلاف بين الأديان المختلفة، بل ونشأ الخلاف بين الدين الواحد ومذاهبه المختلفة.

فما حدث فى المسيحية بين الأرثوذكس. والكاثوليك، والبروتستانت. من حروب ودماء ومعارك وقتلى. ليس من جوهر المسيحية؟.. بالطبع إنه ترك الجوهر والبحث عن تفاصيل غير مهمة. وهل يرضى السيد المسيح عن المذابح التى حدثت من أجله. وهو الحب كله والتسامح المثالى؟.

وقد رأى الإسلام نفس المشاكل والخلافات والمعارك والقتلى بين السنة والشيعة، لأن الجميع تركوا الجوهر الحقيقى واهتموا بتفصيلات بعيدة عن الجوهر.

وهل يرضى رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام عما حدث أو يحدث من معارك بين المسلمين؟!.

لقد جاء محمد ليدعو إلى الإيمان بالله الواحد، ونشر الخير وتنظيم القبائل العربية من أجل مجتمع تسوده العدالة والرحمة والحب.

العجيب أن فلسفة الأديان السماوية كلها واحدة، بل وفلسفة المذاهب الأخلاقية والديانات الوضعية الأخرى، مثل البوذية، والكنفوشوسية، والزرادشتية واحدة وتتفق مع الرسالات السماوية فى قيمها الأخلاقية والإنسانية، مع ذلك يبحث البعض عن الخلافات والشقاق والشر دون أى داع أو فائدة.

ورجل الدين ، أى رجل دين ، له مهمة رئيسية يجب أن يقوم بها وهى الموعظة الحسنة، أن يشجع أتباع دينه على الخير والقيم الأخلاقية النبيلة الموجودة فى تعاليم دينه، والأهم من ذلك أن يشرح الدين نفسه وفرائضه وطقوسه وتعاليمه وتاريخه، وتأويل النصوص المختلفة حتى يعرف المتدينون دينهم، لأننا-وللأسف نجد أمية دينية شديدة للمتدينين الذين لا يعرفون عن دينهم إلا القشور!!.

وقد شاهدنا وسمعنا بعض الشيوخ وبعض القساوسة وقد تفرغا

للهجوم كل على دين الآخر، والتحقير منه ومن صاحبه بدرجة تجعلنا نشمئز من هذا العمل.

وهو عمل أقل ما يقال عنه أنه عمل إجرامي!.

إن الفضائيات تطالعنا يوميا بمثل هذه السخافات. والهجوم والتحقير من الآخر، وأسأل نفسي من المستفيد من هذه المساخر والفوضى وعدم احترام الآخر؟.

إنهم الأعداء بالطبع، ويكون الوطن الضحية لهؤلاء غير الملتزمين، والذين لا يعرفون ولا يقدرون مسئولياتهم.

يا أبي القسيس.. يا مولانا الشيخ.. لكما كل الحب والاحترام ويجب أن يبحث كل منكما عن مواطن الاتفاق في فلسفة الأديان ويدعو شعبه وأتباعه إلى الموعظة الحسنة، لأن الدعوة إلى الشقاق والتنافر.. ثم المعارك لا سمح الله. هي الشر بعينه، وكل الأديان تدعو إلى الخير ونبذ الشر.. أليس كذلك؟!!.

الكلمة الطيبة صدقة

الكلمة

الطيبة صدقة، والكلمة هى أساس الكون وبدء الحياة. الإنجيل المقدس يقول: فى البدء كانت الكلمة وكانت الكلمة عند الله. والقرآن الكريم بدأ بكلمة اقرأ وهى تنفيذ للكلمة. الحديث الشريف يقول: الكلمة الطيبة صدقة. وما أجمل المعنى. والإنجيل يقول: الجواب اللين يصرف الغضب، وهو نفس المعنى. وفى حديث شريف آخر عن لغتنا الجميلة يقول: «إن من البيان لسحرا وإن من الشعر لحكمة».

الكلمة أحيانا تبنى وتعمر إذا كانت طيبة. وأحيانا أخرى تهدم وتدمر إذا كانت قاسية شريرة. ولابد أنك جربت هذا قبل ذلك، ألم تسمع كلمة طيبة أثرت فى نفسك وأسعدتك ورفعت من روحك المعنوية وكأنك طاير فى السماء من والديك أو رئيسك فى العمل أو أحد أصدقائك؟.

لابد أنك جربت ذلك،والعكس صحيح لا سمح الله. تسمع كلمة قاسية أو هجوما يحول نهارك ليلا، ويرفع ضغط الدم فى عروقك. ويرفع نسبة السكر فى جسمك.. لهذا فإن الكلمة الطيبة صدقة.

والجـــواب اللين يصرف الغضب. والإنســـان الراقـــى هو الذى يفعل ذلك. وهذه فلسفة الأديان الواحدة. هذا هو الجوهر. أن نتعامل مع بعضنا بالحـــب والكلمات الطيبة. فنزداد حبا للحياة وحبا لبعضنا البعض وتصبح الحياة رائعة.

من العقل والمنطق أن تكون فلسفة الأديان واحدة ومتماثلة لسبب واحد هو أن مصدرها وصاحبها واحد. هو الله الرحمن الرحيم.

وقد خلق الله الإنسان على طبيعة الخير والحب وتركه فى الجنة ينعـــم بكل ما فيها. وعندما عرف الشـــر وبدأ يخرج على طبيعته الخيرة أنزلـــه الله إلى الأرض كنوع من العقاب. حتى يعمر الأرض ويـــأكل من عرق جبينـــه، وتتعب وتتألم حواء مـــن أجل الولادة. وعندما ازداد الإنســـان شـــرا وأخذ يســـلك ســـلوكا عكس طبيعته الخـــيرة أعاده الله إلى قيم الخير والحق والجمال التى خلق عليها. فبدأت الرســـالات الســـماوية تهبط على الإنسان من أجل مصلحته ومستقبله.

لم يكن آدم مسلما ولا حواء مسيحية ولا قابيل يهوديا ولا هابيل علمانيا، بل كانوا يعيشون على طبيعة الخير كبشر من خليقة الله.

وبدأت الرسالات الســـماوية تنزل لهداية الإنسان.. والرسالات الســـماوية ما هى إلا كلمات هادية عظيمة التأثير فى الإنسان. وكل

الرسالات السماوية نزلت بكلمات طيبة صادقة تعيد إلى الإنسان إيمانه بالله العظيم الرحمن الرحيم الملك القدوس وتهديه إلى سبيل الرشاد وإلى الحياة الروحية الجميلة حيث الحب والكل في واحد. ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى. والله محبة.. أحبوا بعضكم بعضا كما أحببتكم أنا. وإذا كان الله معنا فمن علينا.

وهل هناك دعوة للحب والأخوة أكثر وأجمل من ذلك؟.. ولأن فلسفة الأديان واحدة. وصاحبها ومرسلها هو الخالق العظيم فإنه يدعونا إلى الحب. ومن هنا لابد أن نتبادل الحب والرحمة والإخلاص كإخوة في الإيمان بالإله الواحد الذي نعبده جميعا. فكل الأديان تدعو إلى الحب والرحمة ومساعدة الآخرين، وعدم أكل مال اليتيم وزيارة المرضى واحترام المرأة والعطف على الفقير. وحب الآباء والأمهات و مساعدتهم في الكبر. وكل هذا لإرادة الله أن نعيش في حب وسلام. والدين الحقيقي هو المعاملة.

ومن هنا لم تقتصر الدعوة إلى الحب واحترام الآخر على آية واحدة في القرآن الكريم بل اشتمل على العديد من الآيات التي تدعو إلى الحب واحترام الآخر.

هكذا يدعونا الخالق العظيم في القرآن والإنجيل إلى الحب والسلام والخير والحياة السعيدة الخالية من الشر. وهذا هو

الجوهر، ولذلك لن تجد مؤمنا حقيقيا سـواء كان مسلما أم مسيحيا إلا ويحب الآخر ويحترمه ويسـعى إلى خدمتـه، فهذا هو التدين الحقيقى والإيمان الصحيح.

لا تأكل نفسك

هذا العنوان هو مثل إنجليزى معروف: لا تأكل نفسك donot eat your self

وقد يتعجب البعض ويسأل: هل يمكن للإنسان أن يأكل نفسه؟.

الواقع أن العلماء يقولون ذلك. ولأن الإنسان نفس وجسد فقد اهتم العلماء بنفس الإنسان وبجسده أيضا وبعد أن كان طبيب الجسد يهتم به فقط. وطبيب النفس يهتم بها فقط رأى العلماء أن يكون الاهتمام بالنفس والجسد معا. ومن هنا نشأ علم جديد هو علم «النفسجدى». ولم يكن اهتمام العلماء بالاثنين مجرد محاولات للبحث بل بعد أن ثبت تأثير الأمراض النفسية فى الجسد، وتأثير الأمراض الجسدية فى النفس. وهذه واحدة من عظمة الخالق فى أن يجعل الإنسان وحدة واحدة.

يقول العلماء إن الانفعالات النفسية تؤدى إلى أمراض جسمية خطيرة فالحزن والحقد والكراهية والحسد والاكتئاب والغيرة وغيرها تزيد من إفراز المعدة لمادة حامض (الأيدرولوريك) التى تسبب زيادتها فى إحداث أمراض خطيرة فى الجسم أهمها قرحة المعدة. وعسر الهضم.

والتهاب الاثنى عشر. هذه واحدة. وكذلك تحدث هذه الانفعالات النفسية السيئة أمراضا أخرى مثل: مرض السكر أو مرض الضغط، وهى أمراض منتشرة جدا فى مصر.

من هنا فالإنسان الذى يحقد ويغير بطريقة مرضية، أو يحسد، أو يلعن حياته دون سبب يمرض نفسه، وهو يأكل نفسه فعلا وينشط المادة القاتلة (الأيدرولوريك) التى تأكل جدار معدته وتحرقها.

وهكذا يأكل الإنسان نفسه، ونحن نقول دائما عن الإنسان العصبى والمتوتر والحقود: إنه يأكل نفسه.. والعملية بسيطة لكى ينجو كل إنسان بنفسه من هذه الأمراض القاتلة، حاول أن تنظر للحياة بمنظار جميل. لا تتوقع الشر والمصائب قبل وقوعها فهى يمكن ألا تأتى، افتح قلبك بالحب للناس جميعا. ولا تقل مع فيلسوف فرنسا: (جان بول سارتر) إن الآخرين هم الجحيم، بل إن الآخرين فى الواقع هم الرحمة والأمان والسعادة، هل يستطيع الإنسان أن يعيش وحده؟!. ألم يقل العالم (أوجست كونت) مؤسس علم الاجتماع: الإنسان اجتماعى بطبعه؟.. ولابد أن تعرف أن الآخر هو الأنا بالنسبة لنفسه وهو الآخر بالنسبة لك. وأنك الأنا بالنسبة لنفسك والآخر بالنسبة لغيرك.

حاول أن تفتح قلبك للحب والتسامح والفرح حتى تعيش فى وسط كله فرح وسعادة وبهجة وسرور. ولن تقترب منك الأمراض بل تهرب لأن المرض لا يأتى إلا للمعقدين الذين يصنعون من الحبة قبة، كن

شـخصية سوية لا تتأثر بسـرعة بالانفعالات القاتلة بل مروها بسرعة وأعبر فوقها لتستمتع بحياتك وتحل مشاكلها، من الطبيعى أننا نقابل مشـاكل كثيرة بل مصائب أحيانا. لكـن إعقلها وفكر فى هدوء وعُد إلى توازنك النفسى وشخصيتك السويّة.

وسـبحان الله كما خلق مادة فى الجسـم يمكن أن تسبب لنا الأمراض خلق مادة أخرى تساعدنا على السعادة والبهجة والسرور والهدوء وحب الجمال وهى مادة : (إندورفينات) وهى أفيونات طبيعية فى المخ يفرزها جهـاز المناعة عند الإنسـان نتيجة كلمات الحب بـين الزوجين أو بين الناس، هكذا كلمات الحب كالسحر والبلسم بالنسبة لكل إنسان.

ونحن جميعا نحتاج إليها، وهى فى نفس الوقت قريبة منا. كلمات الحب والشـكر والاعتراف بالجميل وتشـجيع الأبناء والطلبة والبنات على حب الحيـاة، لذلك نقول: إن الكلمة الطيبة صدقة. وكم من كلمة طيبة أقامت إنسانا يقترب من الموت. وكم من كلمة قاسية مجرمة قتلت إنسـانا يتمتع بصحة جيدة.. إنها الكلمـة الطيبة التى لا تكلفك جهدا أو مالا، مجرد أن تنطقها بحب وبصدق.

وإذا كان الخالـق العظيم قد أنعم علينـا بهذه المواد الكيماوية المفيدة والضـارة فلماذا لا نسـتخدمها فى محلها لنعيش معـا أنا وأنت. وهو والآخـر فى سـعادة، نقضى سـنوات عمرنا فى راحة وصحة نفسـية وجسـمية رائعة وبهجة تدفعنا لحب الحياة، فـالله العظيم لم يخلقنا

لنشقى ونتعذب بل لنسعد ونتهلل، المهم أن تعرف الطريقة ولا تأكل نفسك بل تغذيها بالحب والقيم الإنسانية الرائعة من حق وخير وجمال.

وتعال نسمع بعض كلمات الشاعر الفيلسوف (إيليا أبو ماضى) فى رائعته: الغبطة فكرة:

أيها الشاكى الليالى إنما الغبطة فكرة
أيها العابس لن تعطى على التقطيب أجرة
لا تكن مرا، ولا تجعل حياة الغير مرة

الأمن الحضارى والاحترام الإنسانى

نهتم كثيرا بالأمن الغذائى، وماذا سنأكل اليوم أو غدا؟. ومشكلة المشاكل أن تنقص سلعة من الطعام أو يرتفع ثمنها، مع أن الطعام كثير ومتنوع. ويمكن لنا استخدام البدائل دائما. وهذا فى مصلحة صحتنا وحيويتنا.

مع اهتمامنا بالأمن الغذائى وبطوننا ومعدتنا التى لا تشكر أبدا نسينا الأمن الحضارى الذى لا يقل أهمية أبدا عن الأمن الغذائى. بل يزيد فى أهميته.

فهدوء الشارع المصرى، وهدوء العمل والبيت أمن حضارى يساعد الإنسان على أن تكون أعصابه قوية ويستطيع أن يعمل ويبدع.

وعدم التدخين فى الأماكن العامة وسيارات النقل العامة، أمن حضارى يساعد الناس على أن تكون صحتهم جيدة. ويمنع الإصابة بأمراض كثيرة مثل السرطان والحساسية.

والمحافظة على نظافة شوارعنا ومكاتبنا وبيوتنا أمن حضارى يعود على صحتنا بالنفع. ويشجعنا على العمل والتفانى فيه. والاستماع إلى الموسيقى الهادئة الهادفة أمن حضارى. ورقة التعامل مع الآخرين أمن

حضارى، كأن أشكر كل من يقدم لى خدمة . أو أستأذن من الآخرين لو كنت أعمل عملا يؤذى حياتهم. وهنا أحب أن أذكر لكم تجربة حدثت لى وأنا فى كندا عند ابنتى المهاجرة نورا حبيبتى، كانت تريد أن تقيم عيد ميلاد لابنها نبيل. فدقت جرس الشقق التى بدورها وأمامها وفوقها وتحتها، تستأذنهم فى إقامة عيد الميلاد هذا. لأنه سيزعج الجيران نتيجة كثرة الضيوف واستخدام الموسيقى والأغنيات. ومع أن الصوت لن يخرج بعيدا عن شقتها إلا أنها لابد أن تستأذن لأن هذا حق الجيران فى الهدوء التام فى البيت والقانون الكندى الحضارى يفرض ذلك. أما لا سمح الله إن لم تستأذن فإن أى من الجيران يستطيع أن يطلب الشرطة أو البوليس ويلغى الاحتفال الذى يسبب إزعاجا للسكان.

هكذا يؤمنون بالأمن الحضارى والاحترام الإنسانى.

نحن فى مصر نتحدث عن حضارتنا السابقة التى تمتد إلى سبع آلاف سنة، وهى حقيقة مؤكدة لكننا نسينا أن الحضارة سلوك وأفعال وأن أجدادنا رحمهم الله. كانوا يتخيلون أنهم فى النهاية بعد الموت سيقفون أمام الإله ليحاسبهم على أخطائهم وما اقترفوه فى حياتهم. وكانوا يقولون أثناء الحساب فى الآخرة، كما جاء فى كتاب الموت:

(أنا لم أسئ لأحد.. ولم أوسخ ماء النيل أو أرمى فيه الفضلات.. ولم أقطف زهرة أو وردة، بل كنت أحافظ على الخضرة. ولم أقطع شجرة، ولم أتسبب فى أذى أى إنسان..).

أليس هذا إيمانا شديدا بالأمن الحضارى الذى يدعو إليه العالم المتحضر هذه الأيام ويطبقه فى منظومة أخلاقية أصبحت عادة من عاداتهم.

السؤال الذى يفرض نفسه الآن: أين نحن من الأمن الحضارى الذى لا يقل أهمية عن الأمن الغذائى بل يزيد؟.

والأمن الحضارى هذا لا يحتاج إلى الدولة أو إلى دولارات أو جنيهات. إنما هو يحتاج إلى أن يحترم كل منا الآخر وحريته وشئونه الخاصة. فلا نملأ الشارع بالزبالة أو الفضلات. ولا ندخن إلا فى الأماكن الخاصة بذلك. ولا نستخدم آلات تنبيه السيارات استخداما سيئا عمال على بطال.. ونتحدث بهدوء مع بعضنا ولا نطلق الميكروفونات فى الأفراح والليالى الملاح، أو حتى فى حالات الحزن والموت فتسبب صداعا للجميع، وتؤذى المرضى وتزيد أوجاعهم. أو تعطل الذين يذاكرون ويعملون فى البيت أو تؤرق الذين يبحثون عن النوم حتى يؤدوا عملهم فى اليوم التالى دون إرهاق.

إننا شعب عرف الحضارة منذ نشأته، بل ومنحها لكل العالم القديم والحديث. والحضارة سلوك وتصرفات وأخلاق وهى رقة التعامل مع الآخرين. وهذا فى يد كل منا.

تعالوا نتعامل مع بعضنا بالحب والاحترام والمحافظة على مشاعر الغير والعطاء الممكن فى العمل ومع الآخرين وستكون النتيجة رائعة.

وسنحقق الأمن الحضارى، ونسعد به جميعا صحيا ونفسيا وروحيا، وسيصبح سلوكا عاديا لنا بعد ذلك، وعادة من عاداتنا الجميلة.

المهم أن يبدأ كل واحد منا بنفسه وإلى الأمام.

ليس بالكرة وحدها نحب مصر

الانتصار جميل ومن حق المنتصر أن يفرح ويحتفل بانتصاره، ولكن الروح الرياضية تفرض عليه أن يَشُد على يَد المهزوم ويقول له: حظ صعب، بل يقيم له حفل تكريم. فالمفروض فى لعبة كرة القدم. وفى أية لعبة أخرى تحقيق الروح الرياضية التى تعلمنا الحب والتضحية. وأن الرياضة هى مكسب وخسارة وهات وخد. وعلى الرياضى أن يتقبل أيهما بروح رياضية عالية. فالكسب يعقبه خسارة. والخسارة يعقبها انتصار. وأكبر فرق العالم حدث لها ذلك.

العجيب أننا فى مصر نربط حب مصر بتشجيع مباريات كرة القدم. وتطلع علينا الفضائيات بقرع الطبول والموسيقى الحماسية تردد اسم مصر وكأننا فى حرب!.

ومصر العظيمة لن تتأثر بمجرد مباراة نلعبها. وسواء انتصرنا أم انهزمنا فإن مصر عظيمة كبيرة قبل ذلك. وبعد ذلك. وفى كل وقت. مباراة كرة قدم لن تُدخل مصر فى حضارة القرن الحادى والعشرين. ولن تحل مَشاكلنا مع رغيف الخبز وتحقيق الأمن

الغذائى وبناء مساكن للشباب والفقراء. وإيجاد مكان فى المدرسة للطفل الوليد. والعثور على عمل مناسب لكل شاب حتى يعيش حياة عادية.

إن تشجيع الكرة شىء جميل. ولكن دفع الناس فى الفضائيات والإذاعة والصحافة إلى التعصب والربط بين حب مصر وتشجيع الكرة كلام فارغ وجهل ما بعده جهل. فتشجيع الكرة هواية بالنسبة للإنسان كأى هواية أخرى. مثل الألعاب الأخرى. أو حتى لعبة الطاولة أو الكوتشينة. أما أن يقترن حب مصر العظيمة بمجرد مباراة فهذا تخلف ما بعده تخلف.

مصر يا سادة أم الدنيا وأصل الحضارات. والحضارة هى سلوك. والحضارة معناها رقة التعامل مع الآخرين. احترام الآخر ومساعدته. وتقديم المعونة إليه. واحترام إنسانيته لأنه إنسان. وفرق كبير بين الإنسان الذى يعيش فى مجتمع إنسانى. والحيوان الذى يعيش فى تجمع حيوانى. الإنسان يعرف الحضارة. والحيوان لا يعرف الحضارة ولا العقل وإنما يعيش بالضرب والقتل والتدمير.

إن حب مصر فى نفس ووجدان كل مصرى. ولنا أن نفخر بأننا أبناء الفراعنة أصحاب حضارة سبع آلاف سنة وأكثر. مصر القديمة التى قدمت للعالم كله نور العلم ومبادئ الإيمان. عرف

العالم المتحضر الطب والصيدلة والعمارة والفلك والرى عن طريقها. كما عـرف التوحيد على يد إخناتون. بل والأدب والفكر والشـعر والأغانـى. وعرف أهم شـىء وهـو الضمير. من مصـر. لم يكتب الكاتـب الأمريكى المعـروف (بريسـتيد) كتابا عـن مصر ولم يجد عنوانا مناسبا له إلا (فجر الضمير) لأن مصر هى التى علمت العالم مبادئ الأخلاق وأهمية الضمير.

هل ننسـى كل هذا ويأتى الزمن الـذى نربط فيه بين حب مصر العظيمة أمنا جميعا وأم الدنيا وبين تشجيع الكرة.

لا شـك أن انتصار مصر فى الكرة شـىء جميـل. ولكنه مجرد عنصر صغير من عناصر الحب.

نحـن نحب مصـر عندما يـؤدى كل مواطن واجبـه على الوجه الأكمـل. وعندمـا نؤمن بأن العمل الشـريف والكفـاح والعرق هو الطريق إلى التقدم. والعمل شـرف لكل واحـد. وحتى إذا كان هذا العمل متواضعا فهو مهـم وضرورى. إن عامل النظافة عندما يجيد عمله فإنه يسـهم مساهمة كبيرة فى إسعاد الناس وتشجيعهم على العمل المتواصل. أليس هذا حبا لمصر؟.. وعندما يقوم سائق الأتوبيس أو سـائق القطار بعمله جيدا ويحمى المواطنين من الحوادث ويحافظ على حياتهم. ويشـجعهم على الذهاب إلى عملهم فى مواعيد العمل المناسبة ليؤدوا عملهم جيدا ويخدموا الجميع؟!.

أليس هذا حبا لمصر؟!.

وعندما يـؤدى الجزار واجبه ويبيع اللحم الطازج المفيد بدلا من لحم الحمير النافقة. أو الكلاب والقطط. أليس هذا جيدا؟.

ألا يعتبر ذلك حبا لمصر وخدمة للوطن؟!.

الواقـع إن الإعلام المصرى - للأسـف - يسـاعد الجماهير على الفوضـى والتعصـب والاهتمامـات الفارغـة. والأفـلام التافهـة والأغنيات الهابطة. والقنوات الفضائية التى وصل عددها إلى المئات تبث سمومـا يومية من تعصب دينى إلى تعصـب كروى إلى تعصب اجتماعى إلى تفاهة فى الفن باسـم الدراما أحيانا. وباسم الكوميديا أحيانا أخرى!.

إننا نحتاج إلى ثورة إعلامية تهتم ببناء المواطن وتصالح المصريين مع أنفسـهم. ومع الآخرين. وتشـجع كل فرد على الانتماء وحب بلده التى تسـتحق الحـب. والتأكيد على حضـارة مصر -القديمة والحديثة- المنتظرة على أيدى الجيل الجديد بإذن الله.

إن الصبية والشباب يعرفون أسماء لاعبى الكرة فردا فردا. لكنهم لا يعرفون (للأسـف) الدكتور طه حسـين. أوقاسم أمين. أو عباس محمود العقاد. أو شيخ الروائيين نجيب محفوظ. أو توفيق الحكيم. أو الدكتور زكى نجيب محمود. أو أحمد لطفى السـيد. أو الدكتور أحمـد زويل وغيرهم.. بل إن الثقافـة ارتبطت عند الجيل الجديد

بالسخافة. وهو ما يهدد أى أمة بالسقوط العظيم لأنها لا تعرف عظماءها ورواد حضارتها.

فهل تهتم الفضائيات والإذاعة والصحافة والسينما بالثقافة لتنتشل مجتمعنا. مصر العزيزة العظيمة. من الضياع. ومن التفرغ والجنون فى تشجيع الكرة وحسب؟. وتشجيع العلوم التى هى مستقبلنا الحقيقى. والفنون الراقية لترتقى بالنفوس والوجدان وتدفع الإنسان إلى حب كل القيم الأخلاقية والدينية السامية؟.

أرجو ذلك لأنه ليس بتشجيع مباريات الكرة وحدها نحب مصر!.

المرحومة حرم المرحوم

عاتبنى أحد أصدقائى بشدة لأنى لم أقدم له واجب العزاء فى رحيل شقيقه، اعتذرت له لأننى لم أعرف. قال لى: كيف لا تعرف والنعى نشر فى الجريدة الرسمية؟.

قلت : لم أقرأ النعى، وكيف لم تقرأه وأنت صحفى؟!.

من يومها وأنا أواظب على قراءة صفحات النعى إن كانت تستغرق بعض الوقت. لكنها ضرورية. وقراءة صفحات الوفيات فى الصحف لا تخلو من فكاهة وبكاء. فكاهة عندما تجد أسماء رجال وقد نسبت إلى نساء. والعكس صحيح. وتعجب وتضحك من هذا ولكنها الحقيقة. ويبدو أن (أبو بلاش كثر منه) فلأن إطلاق الأسماء على أطفالنا (حاجة ببلاش كده) فإننا نأخذ حريتنا فى اختيار الأسماء فنجعل اسم الذكر أنثى. واسم الأنثى ذكرا. وإذا كان عاجبك؟!. والمشكلة إننا بهذا العمل غير المسئول نتسبب فى عمل مشاكل لأجيالنا القادمة عندما يشبون ويعرفون الحياة فإن هذه الأسماء تحرجهم بل تؤذى بعضهم أحيانا. هذه فكاهة وإن كانت مثل الكوميديا السوداء مضحكة محزنة!.

أما البكاء فإنك تقرأ كلمات حزينة تقطّع القلب عن شاب توفى فى شرخ الشباب وكان واعدا للحياة، والأم التى تركت أطفالها، وغير ذلك من مآسى الحياة اليومية، كذلك من أنواع النعى الذى يبكينى النعى الذى يقول.

انتقلت إلى رحمة الله المرحومة حرم المرحوم فلان، والدة.. وشقيقة.. وعمة.. وخالة.. ووو.. ولا يذكر النعى اسم السيدة المرحومة، ولا اسم أى أنثى لأن اسم الأنثى فى رأى هذه القلة القليلة هو عيب أو عورة.

دفعنى هذا إلى البحث عن تاريخ المرأة المصرية الفاضلة فلم أجد هذا المفهوم المتخلف أيام الفراعنة منذ آلاف السنوات وإنما نحن مازلنا نذكر أسماء : حتشبسوت ونفرتيتى ونفر، وتقول الكاتبة (آنا رويز Ana Ruiz) فى كتابها : (روح مصر القديمة – The Spirit of Ancient Egyp) :

تمتعت النساء فى مصر القديمة بالمساواة الكاملة تقريبا مع الرجال، وبالعديد من الحقوق القانونية، مثل المشاركة فى التعاملات التجارية وامتلاك الأراضى والعقارات، وكن يشهدن فى المحاكم، ويمثلن أنفسهن فى المنازعات القانونية، وعملت المرأة فى كل المهن مثل: مستشارة الفرعون أو كبيرة الكاهنات، كذلك عملت فى مهنة الطب، بل إن الكاتبة تذكر أول طبيبة

فى العصـــر الفرعونى وصلت إلى منصب رئيســـة الطبيبات وهى (بيشيشت).

هذا فى عصر الفراعنة منذ آلاف السنوات. ثم نأتى للرسالات الســـماوية وكلها لم تحرم اســـم المرأة أو تعتـــبره عيبا أو عورة. وسمعنا عن الســـيدة العذراء أم المســـيح ومريمات أخريات وحنة وأليصابات وغيرهن. وسمعنا أيضا عن الســـيدة خديجة والسيدة عائشة والسيدة زينب والسيدة نفيسة.. هكذا.

إذن مـــن الذى قال إن اســـم المرأة عـــورة أو عيب؟.. لا نعرف وإنما نحن نتمسك بعادات وتقاليد بالية متخلفة!.

أليس من العجيب أن نقرأ فى صحف القرن الحادى والعشرين عبارة:

المرحومـــة حـــرم المرحوم، والمرأة قـــد اقتحمت كل المجالات وأصبحت طبيبة وأستاذة جامعية، وسيدة أعمال ومعيدة كلية، وضابطة شـــرطة، ورئيـــس مجلس إدارة، بل ووزيرة ورئيســـة مجلس الوزراء، ورئيســـة جمهورية. ليس فى أوروبا وأمريكا فحسب بل فى آسيا ودول إسلامية أخرى.

إننـــا فى حاجة لإعـــادة النظر فى عاداتنـــا وتقاليدنا الموروثة والتـــى لا تتفق مع العقـــل والمنطق والتطور حتى لا نعتبر اســـم المرأة عورة أو عيبا. ولأن هناك من يعتبر اسم المرأة عورة فكيف

ينظر إلى المرأة ككيان إنسـانى كامل؟.. لابد أنه يعتبرها مخلوقا أقـل من الرجل، أو فى المرتبـة الثانية. وهذه هى المصيبة وقمة التخلف!.

(يـا ريت) تتخلص صفحات الوفيـات عندنا من هذه العبارة المضحكـة والمبكيـة أو (التراجيكوميـدى) التـى عرفنـا إياها شكسبير: المضحكة والمبكية المرحومة حرم المرحوم..

والله يرحمنا جميعا.

الأديان واحترام الإنسان

خلق

الله العالم فى تباين واختلاف، ربما لأنه سبحانه وتعالى يعلم أن الإنسان ملول ولا يحب الرتابة، من هنا خلق الله النهار والليل والصيف والشتاء والربيع والخريف والبرودة والسخونة والبحر والصحراء، فى تباين واختلاف محبب للإنسان، ومجدد لنشاطه.

وقد أثبت العلم أن الاختلاف والتباين يؤدى إلى الصحة والقوة، فعندما يتزوج الإنسان بزوجة من دولة أخرى يكون النسل أقوى وأفضل!.

بعد أن خلق الله العالم على هذا التباين خلق الإنسان وفيه نفس هذه السمة، التباين، فخلق الرجل والمرأة، وخلق الإنسان الأبيض والأسود والأسمر والأصفر وهكذا.. وهذه إرادة الله سبحانه وتعالى أن يخلق هذا التباين، لأنه لو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة، لكن التباين هى إرادته، وعلينا أن نحترم إرادة الخالق العظيم، فلا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى.

الله خلقنا جميعا بطريقة واحدة ولم يميز بين الناس بل جعلنا شعوبا وقبائل لكى نتعارف ونتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان.

ونحن نؤمن بهذه المقولة: أنا أحترمك إذن أنا موجود.

مع اعتذارنا للفيلسوف ديكارت والكوجيتو الخاص به، ديكارت يقول: أنا أفكر إذن أنا موجود.. ومن الطبيعي أن تصدق هذه المقولة. ونحن نغير فيها (أحترمك) لأن الاحترام أصل الوجود. فالاحترام دائما وغالبا يكون نتيجة الحب. ثم أنا عندما أحترمك فأنا أحترم نفسي كإنسان. وذلك لأن أنا هو ذاتي الشخصية. وأنا أيضا هو الآخر بالنسبة لك. من هنا يعود احترامي إلى. ويعود احترامك إليك لو احترم كل منا الآخر. أو ليس من العقل والمنطق أن أحب نفسي واحترمها؟!.

كل الرسالات السماوية والعقائد الإنسانية تدفعنا إلى هذا الاحترام الذى هو قمة الأخلاق الإنسانية والقيم الرفيعة. فالرسول الكريم محمد ﷺ مرت عليه جنازة فوقف احتراما لجلال الموت. فقال له أحد الحاضرين: إن الجنازة لرجل يهودى..!.

فتعجب الرسول الكريم وقال: أو ليست نفسا؟!.

هذه هى قيمة الاحترام الإنسانى. أن أحترم الإنسان لأنه إنسان بغض النظر عن دينه وجنسه ولونه ولغته.. إن سيدنا محمد ﷺ يعطينا درسا رائعا فى الاحترام الإنسانى لعلنا نستوعبه. وإن كان البعض لا يعلمون.

وهناك موقف آخر للسيد المسيح عليه السلام. فقد كان يقف مع تلاميذه عندما جاءت إليه امرأة عاهرة تطلب التوبة. فنظر إليها

الجميع باستهزاء وأنفة وانتظروا ماذا سيفعل المسيح؟. وعندما رأى على وجوههم الشماتة والكبرياء والعجرفة قال لهم:

من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر.. فنظر الجميع إلى بعضهم في خجل واضطروا إلى الانسحاب..

فقال السيد المسيح: لم يجرؤ أحد على إدانتك.. وأنا أيضا لا أدينك.. اذهبي ولا تعودي إلى الخطيئة.

هكذا يعلمنا السيد المسيح أن نحترم الآخر حتى لو كان مخطئا أو مذنبا أو آثما. لأن كل إنسان يخطئ حتى ولو كانت حياته يوما واحدا على الأرض.

الإسلام لا يكتفي باحترام الإنسان، بل يطالبنا باحترام الحيوان أيضا، ولعل الحديث الشريف يشجع على ذلك. يقول الحديث: «دخلت امرأة النار في هرة حبستها لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض».

إن حياة الإنسان غالية محترمة، وحتى حياة الحيوان والعبد القديم يقول: انظر أيها الكسلان إلى النملة وتعلم منها.

الأديان جميعها تدعو إلى احترام الإنسان والحيوان. فلا أقل من أن نحترم بعضنا، ففي احترامي لك احترام لنفسي. وفي احترامك لي احترام لنفسك.

هل يستطيع الإنسان أن يعيش وحده في هذا العالم ويحقق كل احتياجاته؟. لا يستطيع بالطبع. ومن هنا يجب علينا أن نحترم بعضنا

البعض، ونغفر سيئات الآخرين. فالعفو عند المقدرة. والذى يعفو هو صاحب القلب الكبير والنفس السوية.

يقول المفكر والمصلح الاجتماعى الصينى الكبير كنفوشيوس: بدلا من أن تلعنوا الظلام أضيئوا شمعة.. هكذا يجب أن نعمل ولا نلعن فقط، بل نتقدم بعمل الخير فهو الذى سيحقق لنا طموحنا وآمالنا فى حياة خيرة سعيدة مبنية على قيم الخير والحق والجمال.

أنا أحترمك إذن أنا موجود..

لعلنا نؤمن بهذه المقولة التى تتفق مع طبيعتنا كبشر أسوياء نؤمن بأن الحياة جميلة وغالية، ويجب أن نعيشها فى حب واحترام وسلام، لأنها قصيرة مهما طالت.

يا عزيزى .. كلنا مصريون

المصريون شعب واحد عريق الأصل، صاحب أول حضارة عرفها الإنسان بل هو الذى أهدى العلوم والفنون والآداب إلى كل شعوب العالم.

المصريون هم الأقباط، كما تعرفهم اللغة اليونانية. فكلمة (أيجيبتوس) اليونانية تعنى مصرى، ومن هنا جاءت كلمة قبطى بمعنى مصرى.. لذلك فكل مصرى هو قبطى، ثم جاءت الرسالات السماوية، فأصبح هناك مصرى مسلم، ومصرى مسيحى، ومصرى يهودى، بل ومصرى علمانى أيضا، والعلمانية ليست كلمة سيئة أو تعنى كافرا، بل العلمانية تؤمن بالدين لكنها تفصل بين الدين والدولة، وهناك من العلمانيين متدينون جدا بكل الديانات السماوية.

المصريون الأقباط على اختلاف دياناتهم يرتبطون بعادات وتقاليد مصرية تعبر عن تاريخهم الحافل.

فالأقباط المسلمون والأقباط المسيحيون يؤمنون بالشفاعة ويذهبون لزيارة الشهداء والقديسين للتبرك وطلب المساعدة، الأقباط المسيحيون يذهبون لزيارة السيدة العذراء فى الزيتون بالقاهرة أو السيدة العذراء

بجبل الطير بأسيوط أو مارجرجس بقرية ميت دمسيس بالدقهلية، والأقباط المسلمون يذهبون لزيارة السيدة زينب بالقاهرة وكذلك سيدنا الحسين، أو السيد البدوى فى طنطا، أو سيدى عبدالرحيم القناوى بقنا، نفس الزيارة ونفس الهدف حتى مع اختلاف الدين لكن العادات والتقاليد واحدة فهم شعب واحد.

ولهؤلاء الشهداء والقديسين أعياد وموالد يحتفل بها كل الأقباط المصريين، المسيحى يذهب إلى مولد السيدة العذراء والقديس أنبا برسوم العريان فى المعصرة والمسلم يذهب إلى مولد الشهيد الحسين فى القاهرة، أو مولد السيد البدوى فى طنطا والذى يشهد حضورا كبيرا ورسميا، الكل يزور للتبرك والدعاء ثم لشراء بعض الحلوى وأشهرها الحمص والحلاوة، الطريف أن الحمص والحلاوة عامل مشترك فى موالد المسيحيين والمسلمين، ينتقل البائع المسلم من مولد الحسين ليبيع نفس البضاعة فى مولد مارجرجس أو العذراء، وكاتب هذه السطور يتأمل الحمص والحلاوة ولماذا تباع فى كل الموالد والمناسبات الدينية لكل المصريين الأقباط المسيحيين والمسلمين. وقد هداه تفكيره ربما يكون السبب لأن الذى بنى مصر كان فى الأصل كان (حلوانى)..!.

الطريف والعجيب أيضا أن المصريين يكتبون مشاكلهم وطلباتهم فى أوراق خاصة ويتركونها أثناء زيارتهم لهذه الأماكن المقدسة، حتى يتشفع الشهداء والقديسون ويحلون لهم مشاكلهم ويحققون لهم

مطالبهم.. هذا ما يحدث من معظم زائرى المساجد والكنائس وأضرحة الشهداء والقديسين.. وكاتب هذه السطور يذكر ما يحدث فعلا أما إذا كان هذا يتفق أو لا يتفق مع الدين فهذا ليس من حقى أن أفتى فيه، فأنا مجرد كاتب يرصد الأحداث ويحاول أن يبحث فى معنى الظاهرة.

ما يحدث الآن من بعض المصريين كان يحدث منذ آلاف السنوات. تقول الباحثة البريطانية (آنا ردويز Ana Ruiz) فى كتابها: «روح مصر القديمة»:

تتضرع الزوجات المحرومات من الإنجاب للآلهة طلبا للعون الإلهى، وتكتب الرسائل وتضعها فوق مقابر الأقارب الراحلين وفى المعابد بأمل أن يستخدم هؤلاء الراحلون تأثيرهم الروحى مع الآلهة لتحقيق أمنياتهم.

من ملامح الفكر الواحد والعادات المشتركة بين المصريين مسيحيين ومسلمين زيارة القبور، وهذه عادة ورثها الجميع عن أجدادهم القدماء وبخاصة فى الأعياد. يذهب الجميع ليلة الأعياد إلى المقابر لزيارة الراحلين حاملين معهم فطيرة الرحمة، ومختلف أنواع الطعام. ويأكلون ويشربون. يقضون ساعات طويلة هناك. البعض يقوم بمجرد الزيارة وشرب القهوة والبعض الآخر يبكى ويولول على الأحباء الراحلين، وتعدّد بعض النسوة مآثر الميت فيرد عليها النساء جميعا بالصياح والبكاء، وكأنك أمام فرقة موسيقية تعزف كونشرتو الأحزان.

وهذه أيضا ليست جديدة. فقد ذكر عميد الأدب العربى د. طه حسين دور المعدّدة هذه منذ آلاف السنين فى رائعته (الأيام).

نفس ما يحدث الآن مع بعض الأسر المصرية. فما أشبه الليلة بالبارحة.

ثم نأتى للاحتفال بالميت، الثالث وذكرى الأربعين، والـ١٥ والخِمسان. كل هذه عادات وتقاليد مصرية قديمة يمارسها المصريون المحدثون المسيحيون والمسلمون على السواء. فشعب مصر شعب واحد مرتبط بتاريخه وحضارته القديمة وأصله العريق. يقول بعض المفكرين أن كلمة آمين التى يستخدمها الأقباط المسيحيون والمسلمون بل وفى كل لغات العالم بمعنى حقا تعود إلى اسم الإله آمون الفرعونى.. وهكذا تأثير الحضارة المصرية فى كل شىء

الإنسان المصرى القبطى هو إنسان واحد لا اختلاف بينه وبين شقيقه، فأنت لا تستطيع أن تفرق بين المسيحى أو المسلم لأن الشكل واحد وسماحة الوجه واحدة والدم الموروث منذ آلاف السنين واحد. وحتى الملامح واحدة، ومن هنا قال اللورد كرومر الحاكم الإنجليزى فى مصر أيام الاحتلال: أنا لا أستطيع أن أفرق بين المسيحى أو المسلم إلا عندما يدخل أحدهما الكنيسة والآخر المسجد!.

جهابذة الإعدادية وعباقرة الثانوية

تعودنا منذ سنوات أن تعلن نتيجة الإعدادية لنجد بعضا من أبنائنا الأعزاء وقد حصلوا على مجموع مائة فى المائة، كذلك الحال بالنسبة لأبنائنا فى شهادة الثانوية العامة! . بل هناك من يحصل على مجموع ١٠٢٪ أو ١٠٣٪ وهكذا.

هذه النتيجة المشرفة الرائعة شغلتنى، وبدلا من أن تفرحنى وتسعدنى تسرب الشك والخوف إلى نفسى. وقلت ماذا بعد؟.

إذا كان هؤلاء الأبناء الأعزاء قد عبروا عن عبقريتهم ونبوغهم المبكر منذ نعومة أظفارهم، فماذا هم فاعلون بعد ذلك؟.

وتتبعت بعضا من هؤلاء الجهابذة والعباقرة بعد ذلك فإذا هم لا جهابذة ولا عباقرة ولا هم حتى متوسطى الحال. فبعضهم فشل فى الثانوية. وبعضهم فشل فى الجامعة وتحول من كلية إلى أخرى وهكذا.

إذن كيف حصل هؤلاء على المجاميع النهائية وهم ليسوا بعد على قدر من الذكاء أو الموهبة التى تؤهلهم لذلك؟.

إنها مشكلة التعليم فى مصر التى تعتمد على الكم والحفظ والصم

والتلقين والـدروس الخصوصية. وتبتعد كل البعد عن التفكير والكيف واختبارات الذكاء وإعمال العقل!.

الطريـف أن أى صحفـى أو أديـب أو مفكر عندما يكتـب موضوعا عن الإنشـاء لن يحصل على الدرجة النهائية. وحتى أسـاتذتنا العقاد أو نجيـب محفوظ أديب نوبـل وغيرهما لن يرضى أحدهم عن نفسـه. أو يعطى نفسـه الدرجة النهائية. فكيف يحصل هؤلاء الأبناء الصغار على الدرجـة النهائية. علـى الأقل فى موضوعـات التعبير باللغتين العربيـة والأجنبيـة؟!.. ونحن نقول إن القلم نفسـه يخطىء. فكيف لا يخطىء هؤلاء الصغار؟!.

أما السـؤال المهم فهـو: إذا كان أبناؤنا الأعزاء قـد وصلوا وهم فى هذه السـن إلى هذه الدرجـة من التفوق فكيف ينظرون إلى المسـتقبل؟. ألم نعطهـم الحق فى الشـعور بالعظمة. وما أدراك بالشـعور بالعظمة ومشاكلها، بل وأمراضها؟.

تعاملـت مع هؤلاء الأوائل، أصحـاب المجاميع مائة فى المائة، ولم أصدق نفسـى وأنـا أتحاور معهـم.. بعضهم تقدم له السـؤال فيجيبك إجابـات غريبة عجيبة أبعد ما تكون عـن الإجابة الحقيقية. والبعض الآخر يزركش إجابته فيوحى لك بأنه يريد أن يستعبطك أو يخمك!.

وقليل منهم مَن يجيب إجابة شافية وافية.. إذن ليس كل من يحصل علـى الدرجات النهائية، مائة فى المائة نابغـة وعبقريا وجهبذا، بل الكثير منهم من الأشخاص العاديين المتوسطين.

هذا كلــه كوم والثقافة كوم آخر. فمعظــم الأوائل ليس لديهم ثقافة تتفــق وتفوقهــم، وإنما انحصــر تفوقهم فى الحفظ والصــم والتخصص وحسب، وتشعر أنه توجد مشكلة أو عدم استلطاف بينهم وبين الثقافة أما السبب فلا أعرفه للأسف!.

وقد يكون اهتمامهم الأول والأخير بمواد الدراسة وحفظها عن ظهر قلب. حتى لا تفوتهم الدرجات النهائية التى هى كل هدفهم!.

المشــكلة خطيرة وكبيرة، طلبــة وطالبات يحصلــون على الدرجات النهائيــة وأكثــر، وبعضهم يحصل علــى نتيجة فــى الثانوية العامة ١٠٣٪ .. أو ١٠٤٪ ثــم لا ينجحون أو يتفوقون بعد ذلك فى دراســتهم الجامعية.

بل إن بعضهم لا يســتكمل دراســته الجامعية فــى كلية القمة التى اختارهــا والتحــق بها نتيجة مجموعه المشــرف، مثــل كليات الطب أو الصيدلة أو الهندسة وغيرها فكيف نفهم ونبرر ذلك؟!.

لابد أن هناك شــيئا خطأ. وكاتب هذه الســطور تناقش مع كثير من المفكريــن والمربين فى مصر وأوروبا وكندا واتفق الجميع على أن حصول الأبنــاء على النتائج الأولى المبهرة، الـ ١٠٠٪ وأكثر هو خطأ تربوى فى حد ذاته، وإننــا إذا أعدنا تصحيح أوراقهم فإن النتيجة ســتتغير. إن عباقــرة العــالم المعروفين لم يحصلوا على مثل هــذه النتائج. ويبدو أن المقاييس التي توضع للتصحيح أساســا مقاييــس خاطئة ومن هنا يجب

مراجعتها. ودراسة هذه الظاهرة الخطيرة: ظاهرة الـ ١٠٠٪ .. يجب دراستها جيدا من قبل علماء الاجتماع والتربويين والمسئولين عن التعليم حتى نصل إلى نتيجة تفيد أبناءنا وتقيمهم التقييم الحقيقى بعيدا عن الوهم والمبالغة!

الزراعة للغذاء وليست للثراء

ما أشبه الليلة بالبارحة .. بالأمس كنت أقرأ مقالا للمفكر المصرى الراحل سلامة موسى كتبه فى شهر مايو سنة ١٩٥٠ وإذا بى أتذكر ما نعانى منه الآن من مشكنة رغيف الخبز وعدم توفير القمح.. يقول سلامة موسى: يؤخذ من إحصاء نشر هذا الأسبوع أن قيمة ما استوردته مصر من الأقطار الأجنبية من المواد الغذائية تبلغ نحو ٣٥ مليون جنيه هذا تفصيلها. وعرض الأستاذ للمواد والمبالغ المدفوع فيها - هذا سنة ١٩٥٠ - ومنها الحبوب والدقيق والبطاطس والزيتون وغيرها ثم يعلق قائلا..

هذه الأرقام تدهش وتحزن معا.. ولو أن أمة صناعية استوردت هذه المقادير لكان لها عذرها.. ولكننا نعيش على أخصب بقعة فى العالم. وكان يجب أن تكفينا أرضنا طعامنا، وصحيح أن السكان يزيدون فى الوقت الذى لا تزيد فيه الأرض الزراعية ولكن حتى مع هذا ، كان يمكن أن ننتج كثيرا من الأقوات التى استوردناها.. ولكن الزراعة المصرية تقوم على أساس مخطئ وهو أنها للثراء وليست للغذاء. ففى جميع الأمم المتمدينة ترصد الزراعة لتوفير الأقوات قبل كل شىء..

ولكن هـذا الاعتبار ليس موجـودا فى مصر، فإننا نـزرع القطن لغلاء ثمنـه، ولا نبالى بتوفـير الحبوب واللحوم والألبان والبقول للشـعب، وقد يقال: إننا نبيع القطن ونستبدل به الأقوات، وأننا نكسب بهذا الاسـتبدال.. ولكن هذا خطأ أيضا. فإن فدانا من الفواكه أو البقول أعظم ربحا من فدان القطن، ثم أقول إن هذا الإسراف أو الانغماس فى زراعة القطـن، قد حرمنا من فنون زراعيـة كثيرة ربما كان أهمها أننا لم نعد نجعل الماشية أساس الاقتصاديات الزراعية، ومن هنا غلاء اللحم واللبن والجبن حتى لقد استوردنا من هذا الأخير ما بلغت قيمته مليون جنيه فى العام الماضى ١٩٤٩.

والحكومة تؤدى إعانة ضخمة لتخفيض ثمن الرغيف، وهذا حسـن إلا أنـه علاج وقتى محتوم، ولكن يجـب ألا نعتمد كثيرا على البرامج القصيرة، وأن نأخذ بالخطط القصيرة. وأسـاس هـذه الخطط أن نجعل الزراعة للغذاء وليسـت للثراء.. بل حتى فى إعانة الحكومة لتخفيض ثمن الرغيف، كنا نحسن أكثر لو أننا خفضنا ثمن السماد الكيماوى كى يزيد الإنتاج بإقبال الفلاحين على استعماله، بدلا من منح هذه الإعانة للمخابز أو المنتجين بعد ظهور المحصول.

إلى هنا ينتهى كلام أسـتاذنا سلامة موسـى الذى كتبه فى جريدته (اليومية) فى مايو ١٩٥٠..

ومرة ثانية أقول : ما أشبه الليلة بالبارحة!.

إننا مازلنا، ومع بداية القرن الحادى والعشرين، نعانى من رغيف الخبز، وطوابير طويلة بالساعات تقف أمام المخابز وشهداء يموتون فى معركة الحصول على الرغيف، والدولة تدعم الرغيف مما يثقل كاهلها، فلماذا لا نزرع القمح الذى يكفينا ويزيد؟.. إننا نستطيع ذلك لو تخلينا عن زراعات أخرى ثانوية غير مهمة، وغير استراتيجية، مثل الكنتلوب والقراولة وغيرها، وخير لشعبنا أن يأكل «عيش حاف»، بدلا من القراولة التى ليس لها طعم، بل هى قريبة فى مذاقها من الخيار.. كذلك بدلا من الكنتلوب الذى زرعناه واستغنينا عن الشمام ذى الرائحة الجميلة والطعم المحبب والرخيص الثمن.

وإذا كان هناك بعض من رجال الأعمال الذين يستفيدون ويثرون من الزراعات التافهة غير المفيدة، فمصلحة الشعب أفضل. ورغيف الخبز للعامة أنفع. ونحن نقول فى أمثالنا (العيش الحاف يربى الأكتاف..) فالخبز بالنسبة للإنسان المصرى هو أساس الغذاء، ولذلك يأكله مع قطعة جبن أو حلاوة ويشكر ربه على نعمته الكبيرة.. بل يمكن للإنسان المصرى البسيط الحكيم القوى الصابر أن يتناول رغيف من الخبز مع الملح ويكون سعيدا راضيا بل إننا نتغنى بالعيش والملح، لقد كان أستاذنا سلامة موسى على حق عندما قال: الزراعة للغذاء وليست للثراء.. وويل لأمة لا توفر لشعبها رغيف الخبز.

تليفونات القيلولة المخبولة

تعودنا نحن سكان المناطق الحارة على فترة راحة واسترخاء وبعض النوم بعد تناول طعام الغداء، فى ساعات القيلولة، وحتى الشعوب الأوروبية التى يلفحها بعض الحر تعرف تلك العادة ويسمونها فترة «السييستا» وأشعر أن هذه الراحة ضرورية. فهى التى تساعد الإنسان على أن ينشط بعد ذلك ويستطيع استكمال اليوم، بل والسهر أحيانا. وهذه العادة يمارسها الجميع تقريبا بلا استثناء.

العبد لله يشعر أن فترة الراحة فى ساعات القيلولة لا تقل عن ساعتين مثلا. من الساعة الرابعة إلى السادسة، وهى فترة ضرورية. بل ومقدسة بالنسبة لى، أريد خلالها أن أستلقى على السرير. أنام أو لا أنام، أريح جسدى وفكرى وكل كيانى من كل شىء. من أجل ذلك طلبت من كل أصدقائى وأقاربى ومعارفى وكل خلق الله الذين يعرفوننى ألاَّ يحاول أحدهم زيارتى زيارة مفاجئة غير سعيدة. أو الاتصال بى تليفونيا. ومعظم الناس تحترم رأيى ورغبتى ومع ذلك أفاجأ دائماً بتليفونات القيلولة المخبولة من بعض الأقارب والأصدقاء مما يغيظنى ويرفع ضغط الدم ويحرمنى من أهم لحظات الاسترخاء. ويزيد ضيقى وقرفى عندما يدق جرس التليفون والنوم يداعب جفونى. وأكاد استغرق

فيه وأنسى الدنيا وأرتمى فى أحضانه. وتكون المكالمة تافهة ساذجة يمكن تأجيلها إلى وقت آخر!.

هالو.. هالو.. أستاذ..

نعم .. أزيك.. أنت وحشتنى قوى قلت اسأل عليك. فينك يا رجل.. خلينا نشوفك وبلاش التقل ده!.

هالو. هالو.. أستاذ فلان..

أيوه يا سيدى مين:

أنا قابلت سيادتك فى الندوة التى كنت تتحدث فيها عن التفاؤل وضرورة أن يكون لدينا أمل فى الحياة.. وأنا شاب فى الأربعين من عمرى خريج كلية التجارة سنة ١٩٨٨ ولم أعمل حتى الآن. ويبدو أننى سأحال إلى المعاش قبل أن أجد عملا.. !. وطبعا لم أتزوج وأفتح بيتا. وطوال هذه السنوات وأنا أجرى هنا وهناك بحثا عن أى عمل، ولم أجد غير عمل فى المجال الزراعى. أما المرتب فلن تصدق.. تصور سيادتك كل مرتبى وأنا خريج جامعة ٢٤٠ جنيها فى الشهر، يعنى أقل مما يتقاضاه العامل.. أرجو أن تساعدنى لإيجاد عمل يتناسب مع مؤهلى حتى أبدأ حياتى.. ولو بعد الأربعين!.

هالو.. هالو .. أستاذ..

أنا واحدة معجبة بسيادتك.. وعايزة أقابلك.. ممكن!.

هالو. هالو.. أستاذ.

ممكن أكلم المدام أسألها عن حاجة فى العمل؟!.

هالو.. هالو.. أستاذ..

إيــه الكلام الفارغ الــذى تكتبه عن الأمل، والتفــاؤل. يبدو أنك لا تعيش فى البلد. كل شــىء يدعــو إلى اليأس والقرف وبعدين تكلمنا عن وهم اسمه التفاؤل يا أخى اتنيل بستين نيلة؟!.

هالو. هالو.. أستاذ..

أنا ابن خالتك.. هل يرضيك أن فلان قريبنا يسرقنى ويضم جزءا من أرضى التى ورثتها إلى أرضه بالنصب والاحتيال؟!..

وهل يرضيك أن تصحينى من أحلاها نومة ساعة القيلولة؟!.

مكالمات معظمها ســاذجة وفارغــة. ويمكن تأجيلها إلى ما بعد وقت القيلولة والراحة. ولكن يبدو أن شــدة الحر أخرجت البعض عن وقاره وطبيعته واحترامه لوقت الناس فحدث ما حدث.

الواقع أن تليفونات القيلولة المخبولة سرقت النوم من عينى وسرقت الراحة والاســترخاء من أعصابى. لكنى توقفــت عند مكالمتين: الأولى الشــاب الذى يبلغ الأربعين ولم يعمل حتــى الآن ويخاف أن يحال إلى المعاش قبل العمل!.

والمكالمــة الثانية هى التى يهزأ فيها المتحدث من الحديث عن الأمل والتفاؤل. هذه الكلمات أفاقتنى من نومى فعلا ونكدت علىّ لأننى أحب أن أجد الشــباب متفائلا وإن كانت الحالــة صعبة حالكة إلا أن التفاؤل ضرورى. ثم لعنة العصر وهى البطالة يجب أن يجتمع المســئولون وكل

من يستطيع خدمة مصر ليفكروا معا تفكيرا جديا فى كيفية القضاء على هذا الوباء اللعين.. البطالة.

هكذا قضيت ساعات القيلولة بين مكالمة تليفونية مخبولة. وأخرى مهمة تطلب اليقظة والعمل الجاد لحل مشاكل مجتمعنا.

ومع ذلك فأنا مازلت مؤمنا بأن ساعات القيلولة هى وقتى الحر الذى من حقى أن أنام وأسترخى وأرتاح فيه، وأرجو من كل السادة أقاربى، وأصدقائى ومعارفى أن يرحموننى من تليفونات القيلولة المخبولة. فأنا إنسان من لحم ودم، من حقى أن أرتاح..

ألا تتفق معى أيها القارئ العزيز الصديق فى ذلك؟!.

زوجتى أم أربعة وأربعين

عقبال عندكم سأحتفل فى نوفمبر وبالضبط فى ١٧ منه بالذكرى الأربعينية لزواجى السعيد. وطبعا أنا لم أتذكر هذه الذكرى الجميلة القاسية لكن زوجتى المصون هى التى تذكرتها وقالت لى: سنحتفل بعيد زواجنا رقم أربعين هذا العام!.

وشعرت بدوار واختلال فى توازنى، هل أمضيت أربعين سنة زواج؟!.. إيه.. الحمد لله.. قلت مداعبا.. تقصدى سنحتفل بالذكرى الأربعين، وفى هذه المناسبة ما المانع فى إعداد بعض الفطير وتوزيعه على الفقراء؟!.

لم تكتف زوجتى العزيزة بأن تذكرت ذكرى الأربعين سنة زواج. بل قالت لى بصوت عال: عارف يا أستاذ إحنا بقى لنا كم سنة نعرف بعض؟. قلت .. كم سنة؟.

أربعون سنة زواج وسنتان خطبة مباركة، وسنتان أخريان بداية المعرفة فى الكلية عندما كنت تحضر لتعاكسنى.. يعنى بقى لنا ٤٤ سنة!.

قلت ياااه .. على كده تبقى أنت يا زوجتى العزيزة المحبوبة المصونة أم أربعة وأربعين!!.

ضحكت زوجتى الطيبة، بل وشعرت بالسعادة لأنها أصبحت أم أربعة وأربعين.

الأيام بتفوت هوا، فعلا أربعون سنة كثيرة طويلة. لكنها فى الواقع كانت حلما جميلا تحملتنى زوجتى كثيرا وتحملتها أنا قليلا. حتى سارت المركب وكبر الأولاد، ابنتنا الكبيرة (نورا) تعيش فى كندا مع زوجها المحاسب (عادل) وعندها ولدان جميلان ١٦ سنة (نبيل)، ١٣ سنة (دانيال).

وابننا ناجى يعمل فى الصحافة مع والدته ومتزوج وقد تفضلت زوجته نجلاء فأنجبت لنا توأما جميلا هو: نورا وكرستين. رحلة عمر جميلة مليئة بالكفاح حافلة بالعمل والأمل. من الطبيعى أن نكون قد اختلفنا أنا وزوجتى فالاختلاف شىء طبيعى بين المتزوجين. وبخاصة فى البداية. لأن العادات والتقاليد تختلف والطباع أيضا وحتى الثقافة، مع أننى على قدر (مش بطال) من الثقافة لكن الاختلاف شىء طبيعى. بل وضرورى.. المهم أن يمر الخلاف على خير ويتنازل كل منا بعض الشىء ويحاول أن يصل إلى الحقيقة بموضوعية.

هذا ما حدث بيننا. أنا وزوجتى، اختلفنا واتفقنا، وكان صوت العقل دائما هو الصوت الأعلى، وكانت مصلحة الأبناء دائما هى الأهم. وكان الحب وراء كل هذا التعاون والمعايشة.

الفيلسوف سقراط أبو الفلسفة كان زوجا تعيسا، فقد تزوج من زوجته (كزتيب) فى غفلة من الزمان ولم يكتشف أنها نكدية إلا بعد الزواج.

وكانت تراه يجلس مع تلاميذه فى حوار دائم، فترشه بالماء القذر، من أجل هذا قال سقراط: لابد للإنسان أن يتزوج، فإذا تزوج بامرأة فاضلة فسيصبح زوجا سعيدا، وإذا تزوج من زوجة سيئة سيكون فيلسوفا مثلى!.

وأنا أحمد الله أن زواجى كان سعيدا، زوجتى فاضلة حريصة على مصلحة بيتها وأولادها، محبة للجميع، ومع أننى زوج سعيد فأنا أيضا محب للفلسفة وأمارسها، وهنا أعتقد أننى أسعد حالا من أبى الفلسفة سقراط.. تصوّر!.

زوجتى أم أربعة وأربعين زوجة مخلصة، وأم مثالية وأنا أقول الحق فعلاً، وهى أيضا طباخة ماهرة يفضل معظم أصدقائى وأقاربى وبعض سفراء الدول المختلفة فى مصر تناول طعامها اللذيذ.

زوجتى أم أربعة وأربعين هى وزيرة المالية فى البيت، أعطيها مرتبى كل شهر، بعد أن أحصل على مصاريفى الشخصية فتدبر البيت بحكمة كبيرة، وتملأ البيت بالخير بحيث لا نحتاج إلى شىء، وكل خلافى معها أحيانا؟ على كرمها الزائد معى، هى إرهابية فى كرمها وحبها واهتمامها بى.. لابد أن تتناول طعام الإفطار.. لابد أن تأكل الخضار الطازج.. الأسماك غنية بالفوسفور المفيد للجسم.. حاول أن تستمتع بالفراخ واللحم.. لابد أن تأكل لأنك تتناول الدواء، والطعام ضرورى من أجل صحتك.. ما هو الطعام الذى تريده؟!.

فـى الذكرى الأربعينيـة لزواجى، أو عيد الـزواج رقم أربعين كما تسـميه زوجتـى ومعظم الناس.. أقـول لزوجتى أم أربعـة وأربعين: كل سـنة وأنت طيبـة. فالزوجة الصالحة نعمة. وأدعو الله أن يشـعر كل الأزواج بالسـعادة، وأن يحتفلـوا بالعيد الفضى والذهبى والماسـى لزواجهم.

وهنا أتذكر كلمات سليمان الحكيم.

امرأة فاضلة مـن يجدها لأن ثمنها يفوق اللآلىء .. زوجتى أم أربعة وأربعين أغلى عندى -حقيقة- من الملايين.

بقـى أن تعرفوا من هى زوجتى أم أربعة وأربعين سـنة حب: هى الصحفية منى الملاخ، نائب رئيس تحرير مجلة المصور سـابقا والكاتبة الصحفية الآن.

الكتبة والكُتَّاب

يبدو أن مهنة الكتابة أصبحت مهنة من لا مهنة له. فأنت تجد بعض الناس يقدمون أنفسهم لك على أساس أنهم كُتَّاب. وبعد أن تجلس معهم تكون الصدمة. لا موهبة، ولا ثقافة. ولا علاقة بالكتابة بتاتا. ولا اهتمام بالشأن العام. ولا بمشاكل الإنسان فى كل مكان، وتعجب كيف يقول إنه كاتب ويعيش فى الدور؟!.

الكتابة يا سادة موهبة من عند الله أولا، وثانيا هى ثقافة غزيرة يحصل عليها الكاتب من قراءاته وتأملاته طوال العمر. منذ طفولته. ومنذ شعر بموهبة الله له، ثم هى ثالثا معرفة بأحوال العالم الذى نعيش فيه وبعد كل ذلك يصبح للكاتب رأى يريد أن يقوله. ورسالة يشعر أنها واجبة عليه نحو عالمه الذى يعيش فيه. وهناك فرق بين الكاتب والمثقف. وإن كان من الضرورى أن يكون الكاتب مثقفا، لكن المثقف يمكن أن يكون إنسانا عاديا له خبرة بالحياة ولكنه لا يملك موهبة الكتابة.

الكاتب يقترب من أن يكون رسولا برسالته التى تحمل الحب للإنسان فى كل مكان. مهما اختلف لونه ودينه وجنسه ولغته. وهو

يعانى من مشاكل الإنسان، حتى لو كانت هذه المشكلة لا تقترب منه ولا ينعكس أثرها عليه، لأنه يشعر أن مشاكل أى إنسان فى المعمورة هى مشكلته الشخصية، وأن رسالته أن يجد حلولا لها.

الكتابة مسئولية كبيرة يشعر صاحبها بها، بل ويعانى من أجلها. ولذلك رأينا الأديب الفرنسى: (البير كامى) يدافع عن الجزائريين العرب ضد احتلال بلاده فرنسا لهم، وقرأنا للأديب الأيرلندى: «برنارد شو» دفاعا مجيدا عن الإسلام والمسلمين.. ودافع الفيلسوف الفرنسى الساخر «فولتير» عن حرية الإنجليز، وقارنها بعبودية النظام الفرنسى -إبان تلك الفترة التاريخية- وأطرى على مجلس العموم البريطانى، ونظام الضرائب بل عبر عن إعجابه بالفلاح الإنجليزى وحريته وطعامه.

كتب فولتير (الرسائل الفلسفية) فى إنجلترا، ولكنه عندما عاد إلى بلده فرنسا وجدها مطبوعة ومنشورة، ووقعت نسخة منها فى يد أحد أعضاء الحكومة. فأصدر أمرا بحرق الكتاب والقبض على فولتير.

الكاتب يمكن أن يضحى بالغالى والرخيص فداء لرسالته. فنحن نذكر أبا الفلسفة (سقراط) عندما حكم عليه بالإعدام زوراً وكان يمكن أن يتراجع عن فكره وعن آرائه حتى ينجو من الموت، لكنه تمسك بآرائه وتقدم إلى الموت فى شجاعة نادرة.. إنها رسالة الكاتب والفيلسوف والمفكر التى تملك عليه نفسه.

وفـى كل يوم نقرأ عن الكتاب والمفكرين الأحرار فى كل بلاد العالم. الذيـن يقبض عليهم ويعيشـون فى ظلام السـجون دفاعـا عن مواقفهم الإنسـانية من أجل البسطاء والفقراء. والغلابة والمقهورين فى العالم.. وهل ننسـى كتابنا الكبار ومعاناتهم أيضا؟!. ألم يدخل أستاذنا المفكر الكبـير عبـاس محمود العقاد السـجن لأنه دافع عـن الديمقراطية فى البرلمـان؟!.. ألم يترك عميد الأدب العربى الدكتور طه حسـين مقعده فى الجامعة نتيجة فكره وقلمه؟!.. ألم يسـجن سلامة موسى والدكتور محمد منـدور والكاتب الصحفى محمد زكـى عبدالقادر نتيجة فكرهم وكتاباتهم ضد الظلم والاحتلال؟!.

أما سـلامة موسـى فإن له مقولة جميلة مفيدة عن الكاتب.. يقول: الكاتب الذى لا يغوص فى أعماق المجتمع ويعرف مشـاكل الناس، ثم يحاول وضع حلول لها، لا يساوى ثمن القلم الذى يكتب به.

هكذا الكاتب الحقيقى صاحب الرسالة، يكون مهموما برسالته، مؤمنا بفكره، يبحث عن سـعادة الناس ونشـر الحب والسلام فى بلده والعالم، وهو ضد التعصب بشـتى أشـكاله، وضد الظلم بكل أنواعه.

الكاتب أيضا أسـلوب وعبـارة. فموهبته تجعل له أسـلوبا مميزا، وكلما كان واضحا كلما كان قريبا من الناس والقراء.

يقول الأديب والعالم: (برتراند راسل): أسلوب الكاتب لا يمكن أن يتصف بالجودة إلا إذا كان يعبر عن شخصيته بطريقة لا إرادية.

وينصح «راسل» الكتاب بالابتعاد عن استخدام الكلمات الطويلة إذا كانت هناك كلمات قصيرة يمكن أن تحل محلها. كما يطالبهم بتجنب استخدام أية عبارات اعتراضية من شأنها أن تعوق وضوح الجملة، ومحاولة التعبير عن رأيهم فى أقل عدد ممكن من الألفاظ والكلمات.

الكتاب هم حكماء الدولة الذين يبشرون بالسعادة والسلام والحياة الكريمة الهنيئة. الخالية من الظلم والكراهية. هم دعاة حب للجميع.

إنها مسئولية كبيرة ومعاناة، وليست مهنة من لا مهنة له. فالكاتب يكتشف نفسه مبكرا. ثم يعد نفسه لهذه المهنة المقدسة بالقراءة والاطلاع والمعرفة.

من الطرائف الضاحكة. وشر البلية ما يضحك. أننى كنت فى إحدى الندوات. ووجدت سيدة فى خريف العمر تقول إنها كاتبة قصص أطفال. وكان معها كُتيبان صغيران. تصفحت أحدهما فإذا أسلوب تلميذ ابتدائى وأخطاء إملائية كثيرة.. المهم أن هذه السيدة وقفت فى الندوة تقول إنها تنتظر أن تحصل على جائزة نوبل!.

ولم أتمالك نفسى وقمت لأقول لها: سيدتى أنت لم تكتبى إلا كتيبين صغيرين تقولين إنهما قصص أطفال. وأنت كأديبة لست معروفة على مستوى حى شبرا أو حى الفجالة. فكيف تقولين أنك تنتظرين الفوز بجائزة نوبل؟!.

إنه حقا الجنون والجهل!.

سيدة أخرى قدمت لى ديوانا للأطفال. عندما تصفحته وجدته مليئا بالأخطاء الإملائية. ولا يوجد به شعر وإنما قص ولزق وكلمات مضحكة تدفعك إلى الشفقة والعطف على هذه التى تقدم نفسها إلى الناس على أساس أنها شاعرة!.

قبل أن أختم هذا المقال أود أن أحيي اتحاد كتاب مصر لأنه رفض عضوية بعض الكتبة الذين يعتبرون أنفسهم كتابا.

فالكَتَبَة كثيرون. والذى يعد أرغفة الخبز فى الطابور من الكَتَبَة. والتى تعد المرضى وتكتب أسماءهم فى المستشفى من الكَتَبَة..

أما الكُتاب فهم رسل حكماء. يهتمون بالإنسان ويتواضعون فى حياتهم من أجل رسالتهم الإنسانية.

لسنا ضد الحمير

القاهرة الساحرة تئن وتتوجع وتصرخ وتولول من كثرة الزحام. أطفال وشباب وبنات وصبيان وشيوخ مصريون وأجانب، سيارات من كل الأنواع، منذ صناعة أول سيارة وحتى أحدث سيارة، عربات كارو وحنطور وتريسكلات وموتوسيكلات ودراجات، وأصوات مرتفعة من الناس والسيارات والمنبهات والسرينات والإعلانات، وأشعر وأنا فى شوارع القاهرة وكأنى أشاهد فيلم رعب حقيقى، هذا غير الأرصفة العشوائية، التى لم أجد مثلها فى العالم كله، الرصيف يرتفع لدرجة أشعر معها أنى أحتاج لمن يأخذ بيدى حتى أصعد إليه، مع أنى فى عز الشباب ولم أبلغ الستين بعد، ثم الرصيف حافل بالمطبات والمستويات فأنت على الرصيف تصعد سلالم وتهبط فى حركة لامعقولة، وشوارع القاهرة الساحرة غنية بمطباتها الجهنمية وبالوعاتها العميقة التى تبلع الرجال والنساء والأطفال، والمكشوفة دائما وكأنها شراك خادعة لاصطياد خلق الله، ومن يدرى ربما كانت كذلك كنوع من أنواع تنظيم الأسرة!! أما المطبات الاستفزازية الصناعية فحدث عنها بلا حرج، فهى شراك خداعية فعلا، المطب ليس له لون أو حجم أو ارتفاع أو عرض أو شكل معين، وإنما كل مطب صناعى هو عمل فنى خاص

بنفسه، هذا مطب مثل الأهرامات. ألسنا من أصل فرعونى يقدس الشكل الهرمى؟ وذاك مطب آخر صناعى أشبه كثيرا بكوبرى عباس. وعليك أن تعبره بمهارة! ومطب آخر ثالث من باب زويلة! ومطب صناعى رابع على شكل مصطبة فرعونية وهكذا. وأنت تقود سيارتك لتعبر هذه المطبات الصناعية الاستفزازية فتفعل بك كما تفعل الخمر الرديئة بعقول البشر..!

وكله كوم وتواجد وانتشار الحمير فى الشارع المصرى كوم آخر! فالحمير تجر عربات الكارو وعربات القمامة ولأن مصر غنية بالحمير فإنك تجد دائما حمارين يجران عربة واحدة. وأحيانا ثلاثة حمير! ومنذ سنوات ليست ببعيدة ولا قريبة اقترح أحد المسئولين إحالة الحمير التى تجرى وتمشى وتبرطع فى شوارع القاهرة إلى المعاش، فكفاها خدمة أكثر من ألف عام فى شوارع العاصمة. ولقى هذا الاقتراح استجابة من الكثيرين. حتى الحمير ذاتها. فمن فوائد هذا القرار أولا سيولة المرور فى القاهرة الساحرة الباهرة الرائعة. ثانيا هو نوع من التحضر فلا يعقل أن تمشى الحمير الهوينى بجانب إحدى السيارات السريعة فتعطلها وتربك المرور. ثالثا تحقيق نظافة أكثر لعاصمتنا الضخمة التى تعانى من كثرة التلوث. وقرر الاقتراح أن تحول عربات الكارو التى تسير بواسطة الحمير إلى تريسكلات حتى لايفقد الباعة الذين يستخدمون عربات الكارو عملهم أو تجارتهم.. وجد هذا الاقتراح

قبولا من الجميع لكنه للأسف لم يطبق أو ينفذ ولا يعرف سبب ذلك.. هل قام الحمير بمظاهرة؟! أو أضربوا عن العمل؟! أو هددوا الناس فى مصالحهم؟! لايعرف سبب لذلك. ولا نعتقد أن الحمير دائما مطيعة وصابرة وراضية بقليلها، وهى ليست غبية كما يعتقد البعض. وكاتب هذه السطور له تجربة قديمة منذ نعومة أظفاره مع الحمير تثبت ذكاءها، فقد كنت فى قريتى بكفر أيوب عوض منيا القمح شرقية، ولم أبلغ العاشرة من عمرى وركبت الحمار من داخل الدار ونصحونى ألا أترك الحمار وأنزل من عليه حتى لا أتوه. والحمار سيذهب بى إلى الترعة يشرب ثم يعود إلى نفس المكان بعد نزهة قصيرة فى القرية. وخرج بى الحمار من الدار ونفذ المهمة وعاد بى فعلاً إلى نفس المكان، وتأكدت أن الحمار ليس غبيا بل مظلوما.

ونحن إذ نريد أن تتخلص شوارع القاهرة الساحرة من وجود الحمير فهذا ليس اضطهادا للحمير وإنما احتراما لها وللعاصمة، فالحمير قد أدت واجبها نحو القاهرة.

أكثر من ألف عام، وعواصم العالم- حتى الصغيرة منها- لاتوجد بها حمير، والحمير تعطل الحركة المرورية فى القاهرة فعلا. ثم أليس من حق الحمير أن تعود إلى مكانها الأصلى فى الريف لتؤدى عملها البدائى هناك وتتمتع بالخضرة والهواء والهدوء؟ ألا يوجد مسئول شجاع يتخذ هذا القرار ويمنع الحمير من التواجد فى شوارع القاهرة بأى شكل كان؟!

لماذا لاتعود الحمير إلى الريف أو حدائق الحيوان حتى يعرف الأطفال أنه كان هناك حيوان فى يوم ما اسمه الحمار وهو حيوان صابر متحمل قوى طيب متسامح؟!.

إن القاهرة ليست أقل أهمية من قنا فى صعيد مصر حيث اتخذ محافظها الشجاع السابق اللواء عادل لبيب قرارا بمنع الحمير من التواجد فى العاصمة. بل بالاهتمام بالشارع والرصيف والمطبات والإضاءة والأسواق.

مرة أخرى هذه السطور ليست ضد الحمير أو ضد أى حيوان وإنما هى احترام للقاهرة الساحرة الباهرة الرائعة أن نبعد عنها الحمير حتى تزداد جمالا وتألقا وتواكب حضارة القرن الجديد. وتتخلص من كثرة النهيق!.

زوجتى والراقصة

أنـا أحب الرقص بأنواعه وأشكاله المختلفة وإيقاعاته المتباينة، ودقاته الصاخبة والهادئة والمتألقة.

أحب الرقص الشرقى والغربى والفرعونى والتركى. والأسبانيولى و «السلو» الهادئ والجيرك والتانجو. ولم لا أحبه؟ أليس الرقص نوعا من الإيقاعات الجميلة والهزات اللذيذة والحركات التى تنشط الجسم وتسعد الفؤاد وتجدد النشاط وتحاول أن تمتص همومنا وأحزاننا؟!.

الشرقيون بعامة يعشقون الرقص البلدى وكذلك المصريون الذين اكتشفوه منذ مئات السنوات، والرجال طبعا يفضلونه أكثر من النساء، لكن النساء يفضلن أن يرقصن عن أن يشاهدن. أعتقد أن ٩٩٪ من حواء المصرية تعرف بل تتقن الرقص البلدى، وانظر لكل الأفراح الشعبية والبرجوازية والغنية والفقيرة فإنك تجد الرقص البلدى هو العامل المشترك فى كل هذه الأفراح والليالى الملاح، بل وفى أعياد الميلاد وكل المناسبات، وكله على واحدة ونص.

وصلتنى دعوة كريمة لحفل زواج ابنتنا مذيعة التليفزيون المتألقة ميادة نبيل على ابن الحلال الشاب الوسيم رجل الأعمال ماجد يعقوب

فرنسيس. وأنا أحب قضاء أوقات طيبة فى هذه الحفلات والأفراح لكنى أذهب إليها بحذر مشفقا على أذنى من خبط ورزع الموسيقى ورقصات الشباب التى تهد الحيل وتتعب أذنى عدة أيام بعد انتهائها.

ذهبت مع زوجتى إلى حفل الزفاف، وكان فى أحد فنادق الدرجة الأولى، ولأنه حفل راق متحضر فلم تكن هناك موسيقى صاخبة ولا رقصات شباب مدة كبيرة، بل اقتصر الحفل على رقص العروسين ثم رقص الشباب. ولكن الفقرتين الرئيسيتين كانتا رقصا بلديا حيا لراقصتين غير معروفتين.

دقت الموسيقى إيذانا ببدء الرقص واستقبالا للراقصة، وتوجهت أنظارنا إلى باب الدخول لرؤية صاحبة الصون والعفاف راقصة الحفل.. دخلت الراقصة وعلى وجهها ابتسامة حلوة عريضة. ووزعت تحياتها وقبلاتها الهوائية- الفشنك- على الحاضرين، وبدأت أتأمل الراقصة، ليست راقصة عادية مع أنها غير معروفة، جميلة الوجه، منمنمة الملامح، فارعة الطول، جسمها ملفوف، صدرها منفوخ بطريقة ملفتة للنظر، ليس لها بطن كغيرها من الراقصات المشلتتات والملظلظات والمتورمات.. هى راقصة من نوع جديد، جميلة الصورة والرقص والقوام، كانت تستبدل بدل رقص صارخة أيضا.

لم يعترض الرجال بالطبع على بدلة الرقص ولاعلى الأجزاء المكشوفة من الراقصة الجميلة الفنانة. فهم يتطلعون لرؤية مناطق عارية أكثر!

لكـن الاعـتراض جاء أولا من زوجتـى المصون التى تمثـل رأى قلة من السيدات الموجودات فى الحفل.

وبينما نشـعر نحن الرجال بسعادة ونشـوة الرقص البلدى لراقصة جميلة حقا إذا بزوجتى العزيزة تقول لى:

السـت دى نافخة صدرها أكثـر من اللازم.. تلاقيهـا عاملة عملية علشان تكبره بالشكل ده.. هو فيه صدر يكون بالشكل ده!؟.

قلت: ولما لا؟.. هناك سـيدات يتمتعن بهذه الأنوثة الطاغية وبمثل هذا الصدر الفخم الضخم؟.

قالت زوجتى: مش ممكن دى لازم نافخاه بعملية السيلكون إياها!

لماذا تظلمينها؟. قلت لزوجتى: ألا يمكن أن يكون صدرها هذا طبيعياً من صنع الخالق ومن غير سيلكون أو أبتاليدون؟.

تركتنى زوجتى لثوان معدودة لتسـتقوى بجارتها وهى سيدة بلغت مـن العمر أجملـه أيضا مثلها وبعـد أن تحدثتا بصوت خفيض أشـبه بالوشوشة. قالت لى زوجتى بلغة المنتصر:

شـفت بقى علشان مش مصدقنى، أهى السيدة الفاضلة التى بجوارنا قالـت نفس الـكلام.. ثم أليس من العيـب أن تُبدى صدرهـا لنا بهذه الطريقة المشمئزة؟!.

قلت إنها راقصة وهـذا هو عملها، ثم أنت تعتبرين هذا المنظر غير لائق أو سـيئا. لكن بعض الناس يسعدون به ويتمتعون بهذا الرقص.. لماذا لا تحكمين على الرقص بعقلك فقط؟!.

قالـت: أنا مش عارفة إيـه اللى بيعجبكم فى هذه المناظر السيئة المقرفة..!؟.

حـرام عليكـى يا زوجتـى العزيزة، النـاس كلها تشـاهد الرقص وتستمتع به وأنت تهاجمينه بهذه الطريقة، حتى السيدات والأنسات يستمتعن به.. ألا ترين السعادة على وجوههن؟!.

هدأت زوجتى برهة من الوقت لتستجمع قواها وتكمل مناقشتها البيزنطية معى ومرة ثانية تقول: الراقصة دى مش مكسوفة من نفسها ونصفها عريان؟!!!.

ثم هل ده رقص؟ إنه عرض لجسمها..

قلـت: إنها راقصـة، والرقص البلدى يسـمى باللغـة الإنجليزية (DANCE- BILLY) أى هـز البطن.. ثم إنهـا ترتدى بدلة رقص رسميـة وافقت عليهـا الرقابة، فهناك رقابة علـى بدلة الرقص وعلى الرقص نفسه. وبخاصة إنه يحدث فى فندق كبير محترم.

قالـت زوجتى: الحقيقة أنتم كده يـا رجالة عقلكم صغير ويعجبكم الرقص.

إنه فن يازوجتى وليس لعب عيال..!.

لا هـو لعب عيـال فعـلا وأنتم العيـال مـاذا تستفيدون من هذا الرقص؟.

يازوجتـى العزيزة الكلام ده يمكن يودينا فى داهية فالرقص البلدى ليس مسـخرة والراقصـة إذا سمعت هـذا الكلام سـترفع علينا قضية

وتكسبها لأن الرقص البلدى عمل فنى كأى فن آخر. وهل يمكن لك أن ترقصى مثلها؟!.

قالت: هو أنا اجننت والا أيه؟!.

وبعد هذه المناقشة الطويلة العقيمة اهتممت بمتابعة الراقصة والتمتع بفنها وتركت زوجتى تستكمل حديثها مع جارتها التى اتفقت معها على رأيها. وهما تعبران عن رأى قلة من النساء يكرهن الرقص ولا يطقن أن يتابع أزواجهن الرقص أو يتمتعوا به. فهى غيرة مكنونة من حواء الزوجة التى تريد أن يكون زوجها لها وحسب ولا ينظر إلى أى امرأة أخرى حتى لو كانت راقصة.. بل لاينظر حوله، بل ينظر فى اتجاهها هى فقط.. هى الأنثى فقط وغيرها ركش.

الرقص فن وليس (هبل وهلس) يا زوجتى العزيزة ويا كل النساء الفضليات المحبوبات الجميلات أيضا.

الأنوثة الضائعة

انا من ضيع على المقاهى والكافتيريات والكازينوهات عمره.. لا أستطيع أن أعيش بعيدا عن الناس، بل أعشق الحياة وسط الناس وبينهم أتأملهم وأتعرف إلى طباعهم، وأغوص فى أعماقهم، ونتيجة ذلك مجموعة من الانطباعات والآراء الشخصية التى يمكن أن تعجب الآخرين، أو لاتعجبهم. المهم أنها آرائى التى أحب أن أوصلها إليك. فإذا أعجبتك فالحمد لله، وإذا لم تعجبك فقد عبرت عنها وأخرجت الشحنة التى طالما ضايقتنى.. من هذه التأملات: أكاد أموت غيظا وأشعر بالمرارة والغضب كلما شاهدت الفتيات الصغيرات والسيدات المهذبات يجلسن فى الكافتيريات والكازينوهات والفنادق وقد وضعن ساقا على ساق وأمسكن النرجيلة أو الشيشة الطويلة وأخذن نفسا عميقا مما يجعل الشيشة تكركر بصوت عال وكأنها تستغيث ثم يرفعن رءوسهن إلى أعلى ليخرج الدخان من أنوفهن أو شفاههن. وكأنهن يستغفرن الله على الذنب.. والعبد لله يؤمن بالحريات الشخصية، وهى أثمن شىء فى الوجود، ولكن تدخين الشيشة ليس حرية شخصية بل هو انتحار، فالحرية الشخصية ألا تسىء لنفسك وتضر الآخرين أيضا.

فالفتاة التى تدخن الشيشة لاتضر نفسها وحسب. وإنما هى عن طريق الحمل والولادة تنقل الأمراض إلى الأجيال القادمة فتصيبهم بأمراض كثيرة أقلها الضعف وأمراض الصدر والحساسية وغيرها.

فهل هذه حرية شخصية؟!

وأليست هذه أنوثة ضائعة؟!

إن الأنوثة جمال ورائحة طيبة وهدوء أعصاب ورقة. والتدخين قبح ودخان وعصبية واسترجال.

ألم أقل لك إنها أنوثة ضائعة؟.

أنا أحترم الفتيات والسيدات المحجبات، وفى نفس الوقت احترم الفتيات غير المحجبات إذا كن يرتدين الحشمة.

وأجمل ما فى الحياة الحرية، فأنت حر ما لم تضر.

والفيلسوف الفرنسى (جان بول سارتر) له مقولة شهيرة فى هذا المجال هى:

حريتى هى الشىء الوحيد الذى لا أملك الحرية فى الاستغناء عنه..

إننى أؤمن بالحرية الشخصية، ومن هنا أحترم الجميع محجبات وسافرات. ولكن فى السنوات الأخيرة لاحظت أن الفتيات المحجبات يركزن كل اهتمامهن على تغطية الرأس. ثم ارتداء بنطلونات محزقة بشدة وبلوزات كذلك. وقد شاهدت هذا الأسبوع فتاة محجبة لكن

بنطلونهـا يظهر كل مفاتنها. ووجدت الشـارع الذى تمشـى فيه هذه الفتـاة كله يتنـدر ويتهكم على هـذه الفتاة المحجبة من رأسـها فقط والمثيرة للفتنة فى نفس الوقت.

هل هذه الفتاة محجبة فعلا؟!

أقول لكم الحق إنها أنوثة ضائعة..!

الحجاب سلوك قبل أن يكون ملابس أو غطاء.

ويحضرنى هنا قول الشـيخ رفاعة رافع الطهطـاوى ١٨٠١- ١٨٧٣ أحد قادة الفكر المستنير فى مصر:

العفة ليست نتيجة الحجاب بل نتيجة التربية الجيدة.

يـا ابنتى العزيزة أنت حرة فى أن تكونى محجبة أو سـافرة، لكن بالعقل والأخلاق والتصرفات الحميدة، فلايمكن أن تكونى محجبة وكل مفاتن جسدك واضحة. هذا ضد الدين قبل أن يكون ضد الحجاب، وهذا يسبب للناس والشباب عثرة، وويل لمن تأتى عن طريقه العثرة..

كونى ما تشـائين محجبة أو سافرة. ولكن بشىء من العقل والحكمة والاتزان والأخلاق ولا تكونى أنثى ضائعة!

المنتحر مريض وليس مجرما

عجبت للقانون الذى يعاقب الذين أقدموا على الانتحار وأنقذهم القدر فى اللحظات الأخيرة. يعاقبهم بالحبس لمدة تتراوح ما بين ستة أشهر وثلاث سنوات!.

كيف نعاقب هؤلاء وهم مرضى وليسوا مجرمين؟ نعم هم مجرمون فى حق أنفسهم لكنهم مرضى فعلا وهذا ما يقوله علماء النفس والاجتماع. وغريب أن نحكم عليهم بالسجن بدلا من أن نرحب بهم فى المجتمع ونحنو عليهم ونبث فيهم حب الحياة والإيمان بالله والثقة فى النفس.. إننا بحكمنا على هؤلاء بالسجن نزيد الطين بلة ونسود الدنيا أمامهم أكثر وأكثر. ثم بدلا من أن نعاقب الذين يقدمون على الانتحار لماذا لاندرس أسباب الانتحار ونعالجها وهى كثيرة؟!.

كاتب هذه السطور يتعجب من الحكم بسجن الذين منّ الله عليهم بنعمة استمرار الحياة بعد محاولتهم الانتحار والموت الأكيد. لماذا لاندرس الحالات المختلفة التى أقدمت على الانتحار ومعرفة الأسباب وتشخيص المرض؟ ثم نضع الحلول المناسبة ونعيد هؤلاء- ومعظمهم من الشباب للأسف- إلى الحياة العادية يعيشون ويرتزقون ويسهمون فى

العمـل على تقدم المجتمع اقتصاديـا واجتماعيا وفنيا.. إن المجتمعات المتحضـرة تعتبر كل مواطن ثـروة وإضافة لها ولا ترفضه أو تسـجنه لمجـرد أنه فقد الأمل فى لحظات ضعف وأقدم على الانتحار والتخلص مـن حياته بأى وسـيلة. وظاهرة الانتحار موجـودة فى كل دول العالم من جنوبـه إلى شماله فهىظاهرة إنسانية. لكن الأسـباب تختلف. فبينما يمثل الفقر السـبب الرئيسى فى الانتحار فى دول العالم الثالث الفقيرة فإن اليأس من الحياة أو المرض يشكل السبب الرئيسى فى الدول المتحضرة الغنية.

هناك أسـباب أخـرى. فمثلا عندما زرت «المجـر» عرفت أن هناك ارتفاعا فى نسـبة الانتحار بين الشـباب. أما السـبب فكان التهامهم كميـات كبـيرة من لحم الخنزيـر الـذى يصيبهم بالعصبيـة والضيق والملـل ومن ثـم يقدمون على الانتحـار. وكذلك كان الحـال فى الدول الشـيوعية حيث كان النظام فيها يقوم على التفرقة بين الناس وتمييز عضـاء الحزب مما يجعل بعض الآخرين الذين يشـعرون بالظلم البيِّن والاضطهاد يلجأون إلى الانتحار.

اختلفـت الأسـباب والانتحار واحد. وعلـى المجتمعات أن تدرس سـباب هذه الظاهرة الخطيرة لتحافظ على ثروتها البشـرية وأبنائها لذين سيحملون الراية فى المستقبل. لم أسمع عن معاقبة الذين يحاولون لانتحار إلا فى مصر!

ونحن لدينا كليات للآداب عديدة وأقسام مختلفة لعلم النفس وأساتذة علم نفس وأساتذة تربية. ثم كيف نجد ظاهرة الانتحار وقد انتشرت في مصر إلى هذه الدرجة التى نجد فيها ٣٠ منتحرا خلال شهرين فقط في محافظة الجيزة غير الذين نجوا بالطبع. هذا غير المحافظات الأخرى وغير الشاب عمرو عبد اللطيف وعمره ٣١ سنة وقد انتحر بطريقة مأسوية بشعة أعلى كوبرى قصر النيل!.

يحضرني قول لحكيم الصين «كونفشيوس» يقول فيه:

«بدلا من أن تلعنوا الظلام أضيئوا شمعة».

وأقول للمسئولين في بلدى:

بدلا من أن تعاقبوا الذين فشلوا في الانتحار بالسجن والتعذيب افتحوا لهم صدوركم واحتضنوهم فهم جميعا أبناء هذا المجتمع. ومنهم يمكن أن يكون الفنان الرائع والصانع الماهر والمهندس المخترع والفلاح المبتكر. لاتعاقبوهم على اليأس الذى تسببتم أنتم في شعورهم به نتيجة سياستكم المتخبطة التى أدت إلى البطالة والفقر وانتهاء الطبقة المتوسطة.

إن الأسباب التى تؤدى بشبابنا إلى الانتحار كثيرة ومنها الفقر الذى جاءت ثورة ٢٥ يناير لوضع نهاية له والوصول إلى الحد المعقول للحياة.

ثم العجب كل العجب من هذه الصيحة الدينية العالية في المجتمع والتى يجب أن تنشر البشر والتفاؤل والحب والحنان بين الناس لكننا

نجد اليأس والعجز وارتفاع نسبة الجريمة مما يدل على أن هذه الصيحة الدينية ليست جوهرية أو حقيقية وإنما هى مظهرية وحسب. وهنا نقول ونؤكد ونلح على ضرورة الاهتمام بتغيير الخطاب الدينى بطريقة عملية مفيدة حتى تحقق الرسالة الدينية هدفها فى بناء مجتمع مترابط متحاب سوى النفس. كما نتمنى من الفضائيات الكثيرة أن تتخلص من الخرافات والخزعبلات وتقدم للناس صحيح الدين.

وعلى الإعلام ككل أن يعيد حساباته وبرامجه ليقدم الجديد الذى يبنى الإنسان ويتقدم بالمجتمع، ولا ننس دور وزارة التربية والتعليم فى هذا المجال ولتتذكر الوزارة اسمها جيدا فهى تربية أولا ثم تعليم، كل هذا بجانب الدور الرئيسى للأسرة.

إننا نريد شبابا محبا للحياة يضيف لها ويعلو بها. يتقدم بمجتمعه ويسمو به، يعرف ربه ولا يقدم على الانتحار بل يتقدم فى الحياة بقوة وصلابة ليحقق المستحيل يحدوه الأمل المكلل بالعمل. ولنعلم أن التفاؤل حياة واليأس مرض وانتحار. والانتحار عدم إيمان بالله الذى يمكن أن يغير حياتنا إلى الأفضل بمجرد أن نعمل ونجاهد من أجل ذلك.

إعلاميون والله أعلم !

إذا أردت أن تتعرف إلى تقدم أى مجتمع فعليك بدراسة ومتابعة إعلامه المسموع والمرئى، وصحافته بالطبع. ولكننا نتحدث الآن عن الإعلام فقط.

فالإعلام صورة المجتمع. وفى نفس الوقت هو الذى يبنى هذا المجتمع ويضع له قيمه ومثله وأخلاقه وفنه الذى يرقى ويتقدم به. ونحن نحتفل بعيد تأسيس الإذاعة المصرية التى لعبت دورا مجيدا مهما فى بناء الإنسان المصرى ودفعته إلى تأكيد عاداته وتقاليده فى الشجاعة والإيمان بالله والصدق والعمل الجاد وحب الحياة والوطن والتغنى به كل وقت والأمانة والتحلى بالعلم والثقة بالنفس واحترام الآخر وإعطاء المرأة حقها فى الحياة والعمل والحرية كنصف المجتمع. كل هذه القيم والمثل والأخلاق هى جزء من الرسالة الإعلامية التى قدمتها الإذاعة المصرية على مدى ساعات إرسالها طوال السنوات السابقة.

والإذاعة هى مذيع ناجح مثقف ومقدم برامج له تجاربه الحياتية وعنده من الفكر ما يعطيه ويقدمه للمستمع.

ومُعد البرنامج والمذيع ومقدم البرامج هم الذين يسهرون من أجل المستمع وسعادته. يبحثون عن كل ما هو جميل من أجله. أغنية مفيدة

رائعة الألحان. مهذبة الكلمات. وأصوات بديعة تشجى من يسمعها. أو نصا دراميا ينشر الفرحة والحب وقيم العمل والوطنية بين الناس عندما يتحـول إلى تمثيلية إذاعية ناجحـة. إن جيلنا مازال يذكر التمثيليات الإذاعية التى ساهمت فى بناء شخصياتنا على الحب والوطنية والأمانة والإيمان بالله. وهل ينسى أحد التمثيلية الإذاعية «قسم» و «على بابا والأربعين حرامى» و «الأرض أرضنا»؟.. و«سمارة».. و «ألف ليلة وليلة»؟.. وأناشيد: حنبنى السد. حنحارب كل الناس حنحارب، أنا عندى الآن بندقية. قوم يا مصرى مصر دايما بتناديك و..الخ. وبعد ما يقرب من ثمانين عاما كان ينبغى أن تكون الرسالة الإذاعية سواء المسموعة أم المرئية على أعلى مستوى ومتقدمة أكثر مما كانت عليه، وبخاصة أن التكنولوجيا أتت لنا بأجهزة تساعد على الإبهار والوضوح والإبداع الفنى.. لكن للأسف نحن نتقدم إعلاميا للخلف أو نصعد إلى الهاوية. حقيقة أنه توجد برامج ممتازة مخدومة مفيدة، لكنها تعد على الأصابع فقط، أما الباقى (فاللى يحب النبى يذق) إعداد ضعيف لمعد غير مدرب، ومذيعين يهبطون على الميكرفون وهم أبعد ما يكونون عن العمل الإذاعى شكلا وموضوعا وصوتا وخبرة إعلامية، وأصبح الإعلام مكانا أو عملا لكل من هب ودب. وكل من يريد أن يشتهر ويجمع مالا سريعا؟!.

العاملون المميزون بالإذاعة يصلون إلى الميكرفون بعد فترات تدريب واختبارات صوت وخبرة طويلة ويتقاضون مرتبات واهية ضعيفة،

بينما يتقاضى العاملون فى وزارة الكهرباء أكثر منهم. لكنهم لا يشتكون لأنهم يحبون عملهم ويشعرون أن الميكرفون والكاميرا هى حياتهم. وبفاجأ هذا الفريق المعد صاحب الخبرة والأصوات المدربة والثقافة الرفيعة أنه لا يعمل بسبب استضافة الأجهزة الإذاعية والتليفزيونية لنجوم الكرة وبعض الصحفيين أو العاملين فى أى شىء. يأتى هؤلاء ليعملوا فى وسائل الإعلام وأمام الميكرفون والشاشة دون وجه حق. ودون خبرة ليعطلوا العاملين الذين وهبوا حياتهم للعمل الإعلامى واستعدوا له بالدراسة والعمل الجاد. والذى يغيظ ويفرقع فعلا أن هؤلاء الهابطين على وسائل الإعلام من لاعبى الكرة ولاعبى أى شىء يتقاضون أجورا مذهلة فلكية. السؤال الذى يفرض نفسه علينا: كيف يعطل اتحاد الإذاعة والتليفزيون المذيعين والمذيعات العاملين فى هذا المجال والمعدين إعدادا كاملا. بل والخبراء فى هذا المجال من أجل أن يعمل كل من هب ودب؟!.

ثم كيف يمنح واحد من هؤلاء الهابطين على الإعلام أجرا سنويا سبعة ملايين جنيه!.. فى نفس الوقت الذى لا يجد العاملون فى الإذاعة والتليفزيون مرتباتهم الكاملة شهريا فتُقَسَط لهم وهى فى نفس الوقت متواضعة جدا جدا وأشبه بالملاليم بالنسبة لما يتقاضاه الهابط من الهواء؟!.

وكاتب هذه السطور يعتقد أن سبب تخلف الرسالة الإعلامية هم هؤلاء الهابطون على الإعلام والمذيعون الذين لا يعرفون شيئا عن الإذاعة

والميكرفـون والاخلاق الإعلامية ومن هنـا فهم يقعون فى أخطاء فادحة لغويا وفكريا. ولايعرفون آداب الحـوار. ولا كيفية الحوار وأصواتهم نفسـها غير سليمة وصالحة. ولو تقدم أحد هؤلاء للإذاعة ليعمل مذيعا سيرسب بالثلث فكيف نسمح لمثل هؤلاء باقتحام العمل الإذاعى العزيز علينا والذى عشنا حياتنا من أجله؟!.

أليـس هذا اغتصابا أيها السـادة؟.. وكيف تسـمح الدولة ممثلة فى مسئوليتها الإعلامية بهذا الخلط والتمييز والفوضى؟!.

وبعد ذلك لا تسألنى عن الضيوف الذين يتركون الحوار ويتشاجرون، ولا عن المذيع الهابط الذى يتلفظ بألفاظ نابية أو يحرك يده بطريقة فظة، أو يغالط الجمهور أو يهاجم الآخرين أو يعتبر الوسـيلة الإعلامية التى هبط عليها من أملاك السيد والده فيستغلها لتحقيق مصلحته ومآربه..

ولنا الله يا سادة فى هذا الزمن.

لعن الله العولمة

كثيرا ما أسأل نفسى: هل نحن نعيش فى مجتمع إنسانى أو تجمع حيوانى؟

الفرق حقا كبير. المجتمع الإنسانى يعيش مؤمنا بقيم أخلاقية دينية ويُعمل العقل فى كل شىء، ويحترم الإنسان فى كل مكان. لايفرق بين الأجناس ولا بين الديانات ولا اللون أو اللغة.

التجمع الحيوانى لايعرف ذلك، ليس له عقل. يأكل القوى الضعيف ويخطف الطعام من فمه، لايعرف المساواة. ليس له ماض أو مستقبل لأنه لايتطور. فالتطور سمة الإنسان لأنه يملك العقل. لقد أصبحت حياتنا فى السنوات الأولى من القرن الحادى والعشرين حياة تافهة بمعنى الكلمة. الكل يجرى وراء المادة. الكل يريد أن يكتنز. الكل يبحث عن أسهل طريقة للكسب. السؤال الذى يفرض نفسه على الجميع. وبخاصة الشباب: كيف أحقق أكبر قدر من الكسب بأقل مجهود ممكن؟!.

ضاعت القيم الأخلاقية وقيمة حب واحترام العمل! وضاع معها احترام الإنسان لأخيه الإنسان. بل ضاع احترام الابن لأبيه ولأمه. وسمعنا عن حوادث بشعة لم نكن نسمع بها أو نتخيلها من قبل: ابن

يقتل أباه أو أمه ليستطيع تملك شقة يتزوج فيها.. زوجة تقتل زوجها مع عشيقها ثم تقطعه إربا إربا.. شباب زى الفل يقتل عجوزا فى شقتها ليسرقها.

الكل أصيب بسعار حب المال والبحث عنه بأية طريقة فالغاية عندهم تبرر الوسيلة. ومن الطبيعى أن تزداد نسبة الجريمة وبخاصة السرقة. والشباب هنا يسمع يوميا من خلال الصحف عن سرقات البنوك بالمليارات. وسرقات السادة الوزراء ورؤساء مجالس الإدارات والشركات، سرقات فى كل مكان بالمليارات ولا أحد يأخذ الجزاء المطلوب. لأن بعضهم يهرب خارج البلاد. والبعض الآخر يعتذر عن هبشه وسرقته ويعد الحكومة بأن يرد لها ما سرقه! المهم أن الحكومة بسذاجة ليس لها مثيل تقبل ذلك وتطلق اللص حرا.. ألا يشجع هذا معظم الشباب على السرقة والطريق الحرام لو أتيحت له فرصة لذلك؟!.

وغير القدوة السيئة كثيرة النماذج. ساعد الشباب على الانحلال والوقوع فى عبادة المال. غلاءُ الأسعار البشع، والبطالة اللعينة التى جاء بها النظام العالمى فيما يسمى بالعولمة. فاتجه الشباب للبحث عن المال والارتماء فى أحضان الإرهاب الذى يسهل له الحياة ويمنحه المال والأمل فى المستقبل، مع كل أنواع الجرائم الممكنة ليحقق استقرار حياته ويستطيع أن يسد احتياجاته ومتطلباته اليومية.

ألم أقل لك إننا نعيش الآن فى تجمع حيوانى؟!

ساعد على هذا الاتجاه فن هابط يتسم بالسذاجة ويلغى العقل ويشبع الشهوات المادية وحسب. من هنا وجدنا الأغنيات الحديثة وقد تحولت إلى مشاهد فاضحة تغطى فيها الفتيات ما يساوى ٥٪ من جسمهن أما الباقى عار تماما يهتز ويترجرج فى دعوة صريحة للإباحية ويسمونها الأغنيات الشبابية!.

إنك تشعر وأنت تشاهد هذه الأغنيات وتسمع كلماتها الجارحة وكأنك فى غابة بين الوحوش أى وسط تجمع حيوانى وليس مجتمعا إنسانيا هذا ما يحدث عندنا وهو صورة صغيرة مما يحدث فى العالم كله باسم العولمة.

على مستوى العالم وجدنا الدول الكبرى التى كانت تنادى بالقيم الأخلاقية وحقوق الإنسان تهبط لمستوى التجمع الحيوانى فتفرق بين الناس ونسيت العدالة واحترام الإنسان. بل باسم الديمقراطية وحقوق الإنسان قضت هذه الدول الكبرى على إنسان الدول النامية قتلته وشردته وهدمت بيته وأضاعت ماله وعياله وهويته..

ألم أقل لك إننا نعيش الآن فى تجمع حيوانى وليس مجتمعا إنسانيا؟!.

أين وثيقة إعلان حقوق الإنسان التى يتشدق بها الغرب؟ وأين القيم الأخلاقية والإنسانية التى عاش من أجلها ودافع عنها عهودا كثيرة؟!.

أين حرية الإنسان وهى أثمن ما يملك فى الوجود؟.

لقد حولتنا العولمة من مجتمع إنسانى إلى تجمع حيوانى فلعن الله العولمة ومن جاء بها!

كنا نفهم العولمة كما دعا إليها الإسكندر الأكبر فى القرن الرابع قبل الميلاد. على أنها فرصة للقضاء على التفرقة العنصرية واحترام الإنسان لكونه إنسانا ومساعدة الشعوب الفقيرة والأخذ بيدها حتى تحل مشاكلها وتتخلص من الفقر.

أما العولمة الحديثة فهى البطالة وحب المال واغتصاب الأعراض ونهب ثروات الشعوب وقتل الإنسان الفقير المحتاج المتخلف بدلا من الأخذ بيده.

لقد قضت العولمة على المجتمع الإنسانى وجعلتنا نعيش فى تجمع حيوانى يحتقر نفسه ويأكل بعضه. قلنا الله..

هذا وذاك وذوكو

نحن

دولة نامية مثل كل دول العالم النامية تتعرض لمصائب وكوارث ومشاكل كثيرة عديدة غريبة. وهذا شيء طبيعي. لكن الشيء غير الطبيعي الذي يفرقع المرارة ويصيب الإنسان بارتفاع في ضغط الدم. ويحتمل أن يجعله في ذمة الله هو العبارة التي تقابل بها حكوماتنا المتتالية الرشيدة في العصر البائد كل هذه الأزمات والكوارث. هذه العبارة المحفوظة عن ظهر قلب تقول: قرارات حاسمة وإجراءات فورية لعلاج هذا الموضوع، وذاك المشروع، وذوكو المشكلة.. فمثلا تعرض المواطنون منذ سنوات للسقوط والوقوع في البالوعات المكشوفة العارية المنتشرة في الشوارع والميادين والحارات. والتي هي بمثابة مصايد لاصطياد الأطفال والشباب والشيوخ وقصف أعمارهم والموت غرقا في هذه البالوعات.. وخرجت علينا الحكومة أيامها بتصريحها إياه:

قرارات حاسمة صارمة لهذا الإهمال. والقبض على ذاك المسئول. وتعويض ذوكو الضحية البريئة وأسرته.. وتمضي الأيام ويحدث نفس الحادث، وتبتلع البالوعات المكشوفة غير المغطاة المواطنين الأبرياء، حتى أصبح الحادث كمسلسل من مسلسلات التليفزيون المملة.

وأصبحنا نسمع عن حوادث موت المواطنين وسقوطهم فى البالوعات وغرقهم فى المجارى كخبر عاد بسيط، فكلنا سوف نموت.. وتخرج علينا حكومتنا الرشيدة بتصريحها إياه المحفوظ عن ظهر قلب:

إجراءات حاسمة وصارمة لهذا. وذاك. وذوكو!! ومازال السقوط فى نشاط ملحوظ مستمر فى شوارع القاهرة والعواصم المختلفة لمصر المحروسة. وهكذا نعالج مشكلة مهمة من مشاكل الناس بتصريح شديد اللهجة صارم لهذا. وذاك. وذوكو. بدلا من البحث عن هذه البالوعات المكشوفة غير المغطاة والموجودة حتى الآن..!.

فى الأعوام السابقة تعرضت القاهرة الساحرة لسحابة سوداء تأتى فى الصيف. تكدت على سكان العاصمة حياتهم وأصابتهم بأمراض صدرية. وضيق فى التنفس وأمراض أخرى. وتعلن الحكومة كل سنة، ممثلة فى وزارتى الصحة والبيئة وشعارها المعروف وصيحاتها المدوية:

إجراءات صارمة وحاسمة لهذا السواد. وذاك المرض. وذوكو السحابة.. والسحابة السوداء على رغم شعارات الوزارات والحكومة مازالت تأتى ضيفة على القاهرة كل صيف. وتركت وزيرة البيئة موقعها وجاء وزراء بعدها لم يستطع أحدهم القضاء على هذه السحابة السوداء الغوغاء البلهاء الشقية العنيدة. انتصرت السحابة السوداء

على الإجراءات الصارمة التى اتخذها الوزراء ضدها وجعلتها إجراءات وهمية خرافية خزعبلاتية مهنبية!.

شبابنا المصرى يعانى من البطالة منذ سنوات. وهذه مشكلة عالمية. بل هى لعنة العصر. وأعلنت الحكومة أن عدد العاطلين وصل إلى خمسة ملايين. وطبعا هم أكثر الآن. وفى كل عام ومع إقرار الميزانية العامة للدولة تعلن الحكومة عن: إجراءات صارمة حاسمة لهذا الغول الذى يعانى منه الشباب. وذاك المرض الذى يتمثل فى البطالة. وذوكو الفراغ الذى يدفع الشباب إلى الإدمان والجريمة.. وتمر السنوات والمعاناة هى نفس المعاناة. وأرقام العاطلين تتضاعف. والخصخصة لم تسفر عن شىء - للأسف - بل ساهمت هى الأخرى فى زيادة جيش العاطلين بسبب الشركات التى تم خصخصتها ثم نفضت وطردت العاملين بها اختصارا للمصروفات وتعيين الأقارب والمحاسيب وزيادة التهليب.

كل هذا ولا تعرف ماذا حدث للإجراءات الحكومية الصارمة والقرارات الحاسمة لهذا. وذاك. وذوكو.!

الدروس الخصوصية من الأمراض الاجتماعية التى أفرزها وأوجدها نظام التعليم الحديث. وأخطبوط شهادة الثانوية العامة. وأرادت وزارة التربية والتعليم السعيدة الميمونة أن تعالج هذا الخطأ والجرم فى حق التعليم وأولياء الأمور فجعلت الثانوية العامة على مرحلتين. السنة الثانية الثانوية. والسنة الثالثة الثانوية مما زاد الطين بلة وزاد الإقبال

علـى الدروس الخصوصية. فبعد أن كان الخوف من سـنة واحدة أصبح الخوف من سنتين. وحققت الوزارة المثل القائل: «جه يكحلها عماها» وأصبح المدرسـون لايجدون الوقت لإعطاء دروسـهم الخصوصية إلا بعد منتصف الليل وفى الفجر.. وهكذا سـاهمت وزارة التربية والتعليم فى زيادة الدروس الخصوصية. ومع ذلك يعلن السـيد الوزير بابتسـامته المعهودة: إجراءات صارمة وقرارات حاسمة ضد هذا النظام الخطأ وهو الدروس الخصوصية.. وذاك الجـرح الذى أصاب نظام التعليم.. وذوكو المصاريف والتكاليـف الباهظة التى يدفعها أوليـاء الأمور من دخلهم ودمهم وطعامهم وكسـائهم، ويزداد الإقبال على الدروس الخصوصية. وتبحث عن الإجراءات الحاسمة لهذا. وذاك، وذوكو، وكوكو. فلا تجد شيئا بل عبثا وتهريجا وفى النهاية جهلا وأمية.!

هكذا عالجت حكومتنا البائدة مشـاكلها بقرارات وهمية لهذا وذاك وذوكو.

جائزة نوبل لشعب مصر

كثيرا ما أتساءل كيف لم يحصل الشعب المصرى حتى الآن على جائزة نوبل؟!.

وربما يتساءل البعض، جائزة نوبل لماذا؟.. وفى أى فرع؟.

أقول من حق شعب مصر الفوز بجائزة نوبل بكل فروعها فى الطب والأدب والسلام والفلك أليس هو أول شعوب العالم فى علاج الأمراض المختلفة واكتشافها؟.

إن فن التحنيط الذى مارسه الفراعنة بثقة هو الذى أتاح لهم معرفة الجسم البشرى وتشريحه، أول جراحة مخ فى تاريخ البشرية كانت فى مصر القديمة وهى العملية التى نطلق عليها عملية ترْبَنة. الغريب أن العلماء يقولون الآن: إن الآلة التى استخدمها الطبيب الفرعونى فى هذه العملية أفضل كثيرا من التى نستخدمها فى الوقت الحاضر.. عرف المصريون القدماء أيضا عملية التخدير. وتوصلوا للخيوط الجراحية التى تستخدم فى العمليات من أمعاء القطط. كما كانوا يصنعون من هذه الأمعاء أيضا أوتارا ولأول آلة موسيقية عندهم وهى آلة (الهارب) وكذلك للقيثارة.

عـرف المصـرى القديم أيضا كرسـى الولادة. وهو موجـود الآن فى المتحـف المصرى. وقد ثبت علميا أنه يسـهل الولادة وأفضل من الولادة على السرير. بل أكثر من ذلك أن الولايات المتحدة الأمريكية تستخدمه الآن!.

وعـرف المصريون القدماء علم الكيمياء، بل إن هذا الاسـم سمى على أحـد أسمـاء مصر وهو «كيمـى» أى الأرض السـوداء. أى أرض الطمى والزراعة. وكيمياء كلمة يونانية معناها الأرض السوداء.

إن كل قواعد الطب والصيدلـة تقريبا عرفها المصرى القديم وجربها وعالج بها نفسه.

ألا يسـتحق هذا الشـعب العظيم الذى قدم للعالم علوم الطب وفنون الصيدلة جائزة نوبل حتى بأثر رجعى احتراما له..؟.

ألم يتلق العلماء اليونانيـون: فيثاغورث، وأفلاطون، وهيرودوت، وطاليس وإقليدس، وغيرهم العلم فى مصر فى جامعة «أون»؟!.

فى مجال الفلك قَسَـم الفراعنة اليوم إلى ١٢ سـاعة ليلا و ١٢ ساعة نهارا على أن يبدأ اليوم من منتصف الليل، كذلك شيدوا المسلات لمعرفة الوقـت نهارا من ظل الشـمس وليلا من السـاعة المائلة. واكتشـفوا أن الشـمس والقمر والأرض أجسام كروية. وعرفوا أن السنة ٣٦٥ يوما ثم أضافوا لها يوما كل أربع سـنوات على يد العالم الفلكى (سوسيجينس) فى سـنة ٤٨ ق.م. أكثر مـن ذلك عرف أجدادنـا الفراعنة أن القمر

يستمد ضوءه من الشمس فصوروا عين الإله آمون اليمنى هى الشمس، واليسرى هى القمر، والعين اليسرى تستمد نورها من العين اليمنى!.

المصريون القدماء عرفوا أيضا الزراعة والصناعة والفن. وصنعوا آلة الهارب الوترية والفخار وآلات المطبخ وأدوات التجميل للنساء والباروكة وفن الرقص والرسم على المقابر والمعابد، وعرفوا الورق المصنوع من نبات البردى والكتابة التى أدت إلى المعرفة والحضارة.. وهكذا قدم الفراعنة للعالم العلم والحضارة والأدب، بل علم الإنسان المصرى القديم العالم القيم الأخلاقية والإنسانية والجمالية ففى كتاب: (الموتى) تقول الروح بعد أن تترك الجسد مدافعة عن نفسها أمام الآلهة أثناء الحساب:

لم أظلم أحدا، لم أسرق، لم أكذب، لم أشته زوجة قريبى. لم أقتل، لم أغش فى الميزان، لم أسبب بكاء لأحد، لم أحرز مالا حراما، أطعمت الجائع، آويت الغريب. كنت أبا لليتيم، ويدا للمشلول، وقدما للأعرج، قلبى نقى ويداى طاهرتان.. لم أدنس ماء النيل وألقى فيه القاذورات...

وهل تخرج أخلاق وسلوك الإنسان المتحضر عن هذه القيم والصفات الجميلة الحلوة؟. ألا يستحق الإنسان المصرى الذى علم العالم الأخلاق الحصول على جائزة نوبل؟.. هذا هو الجانب المضىء فى تاريخ مصر والذى يستحق الشعب عليه جائزة نوبل، وهناك جانب آخر فى حياة الشعب المصرى العظيم يستحق عليه أيضا جائزة نوبل.. فإذا مررنا بالعصور المختلفة مرور الكرام وبسرعة ووصلنا إلى بدايات القرن الواحد

والعشرين فإننا سنشفق على هذا الشعب من المعاناة الكبيرة على مر الزمان. ونحن نتحدث هنا عن رجل الشارع والناس العاديين الذين يمثلون الإنسان المصرى الحقيقى ابن هذا الأرض الطيبة. فإن المصرى الآن يعانى من الفساد واندثار القيم الأخلاقية التى تربى عليها. بل وعلمها لشعوب العالم. الجريمة زادت نسبتها واختلفت نوعيتها ودخلت فى دور الدهشة والتعجب. فما يحدث اليوم كان خيالا فيما مضى لا أحد يتصوره، والناس لا تجد رغيف الخبز. والعجيب أن يكون هناك شهداء لرغيف الخبز ونحن فى حضارة قرن جديد. وانقلب المجتمع المصرى إلى قلة غنية غناء فاحشا، وإلى كثرة فقيرة معدمة تقاتل وتناضل من أجل الحصول على رغيف الخبز.

الغريب والعجيب فى نفس الوقت أن الشعب المصرى عرف قديما منذ عصر الفراعنة بـآكل الخبز. كما يقول الدكتور الأديب جورج قنواتى فى كتابه (تاريخ الصيدلة والعقاقيرة فى العهد القديم والعصر الوسيط). وكان الخبز يتكون من عجين خشن فيه كميات من غلاف الحبوب وحبيبات الحنطة -القمح- والشعير. من ناحية أخرى كانت مصر تصدر القمح لكل دول الإمبراطورية الرومانية حتى العصر الحديث. وكان للقمح عيد. وغنينا جميعا مع موسيقار الأجيال «القمح الليلة ليلة عيده. يا رب يبارك ويزيده» وبعد كل هذا يأتى الوقت الذى لا يجد فيه المصرى رغيف الخبز. ويستشهد من أجل الحصول عليه

نتيجة فساد النظام وترف الحكومات السابقة وعدم اهتمامها برجل الشارع.

ألا يستحق هذا الشعب العظيم شعب مصر جائزة نوبل على تحمله الجوع ومعاناته المعيشية فى كل ألوان الحياة، حتى إنه أكل لحم الحمير الميتة والنافقة.

وإذا فاز شعب مصر بجائزة نوبل فإننا نرجو أن نشترى بثمنها قمحا نصنع منه خبزا للجميع ونتمنى ألا تأخذ الحكومة أو تلطش ثمن الجائزة تحت أى مسميات أخرى. أو يفرض عليها الضرائب!!.

مؤلف هذا الكتاب

- الاسم فايز إسكندر فرح واسم الشهرة فايز فرح
- عضو نقابة الصحفيين واتحاد كتاب مصر
- نائب رئيس الإذاعة المصرية ووكيل وزارة الإعلام الأسبق.
- عضو مجلس إدارة الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية.. مؤسسة فرانكلين سابقا.
- سافر إلى أكثر من عشرين دولة بدعوات من حكوماتها والمسئول عن الصحافة والإذاعة والأدب فيها.
- فاز بمنحة تفرغ من وزارة الثقافة ليؤلف كتابا عن عباقرة الزمان.
- يذيع برنامجين أسبوعيا على شبكة إذاعة الشباب والرياضة الأول كلنا مصريون والثانى كتاب الشباب.
- يكتب فى صحيفتى الأهرام والأخبار ومعظم الصحف والمجلات المصرية.
- له فى المكتبة العربية أكثر من ١٥ كتاب منها:
- عباقرة رحلوا زهورا.. عباقرة هزموا اليأس.
- عباقرة وعشاق .. رحلات وحكايات .. مذكرات مسافر.
- أسفار .. وأفكار.. تأملات مصرية ساخرة.
- فكر سلامة موسى وكفاحه.
- القراءة أنفع هواية
- العمل مفتاح النجاح
- شخصيات مصرية وأفكار عصرية.

الفهرس

الموضـــوع	الصفحـة
الإهداء	٥
مقدمة	٧
ولد الإنسان سعيدا	١١
صباح الخير يا أنا	١٧
أنا شاب فى الستين	٢١
كن شجاعا واستخدم عقلك	٢٦
مسافر زاده الحمام	٣١
اغتصاب الشارع المصرى	٣٥
يا عزيزى كلنا فلاسفة	٣٩
امسك حرامى	٤٦
دقى يا مزيكا	٥١
الانضباط .. والانحطاط	٥٥
عقبال عندكم	٥٩
الملظلظون والمظلظات	٦٣

تنابلة الأتوبيس ٦٨
الموعظة الحسنة ٧١
الكلمة الطيبة صدقة ٧٥
لا تأكل نفسك ٧٩
الأمن الحضارى والاحترام الإنسانى ٨٣
ليس بالكرة وحدها نحب مصر ٨٧
المرحومة حرم المرحوم ٩٢
الأديان واحترام الإنسان ٩٦
يا عزيزى كلنا مصريون ١٠٠
جهابذة الإعدادية وعباقرة الثانوية ١٠٤
الزراعة للغذاء وليست للثراء ١٠٨
تليفونات القيلولة المخبولة ١١١
زوجتى أم أربعة وأربعين ١١٥
الكَتَبَة والكُتاب ١١٩
لسنا ضد الحمير ١٢٤
زوجتى والراقصة ١٢٨
الأنوثة الضائعة ١٣٣
المنتحر مريض وليس مجرماً ١٣٦
إعلاميون والله أعلم! ١٤٠

لعن الله العولمة ١٤٤
هذا وذاك وذوكو ١٤٨
جائزة نوبل لشعب مصر ١٥٢

يصدر قريبًا

في منتهى الأدب

زينب عفيفي

اشترك فى سلسلة اقرأ تضمن وصولها اليك بانتظام

الاشتراك السنوى :

- داخل جمهورية مصر العربية ٦٠ جنيهًا.

- الدول العربية واتحاد البريد العربى ٨٠ دولارًا أمريكيًا.

- الدول الأجنبية ٩٠ دولارًا أمريكيًا.

تسدد قيمة الاشتراكات مقدمًا نقدًا أو بشيكات.

بمجلة أكتوبر ١١١٩ كورنيش النيل - ماسبيرو - القاهرة

خلق الله الإنسان ووهبه العقل الذى جعل منه فيلسوفا، ولأننا نملك العقل فنحن جميعا فلاسفة.

و الفلسفة وليدة الدهشة، ومن منا لا يندهش، فالدهشة كما قال الفيلسوف العظيم أرسطو هى التى دفعت الإنسان إلى التفلسف.

ولأنك تتمتع بالعقل فأنت تسأل دائما عن الحياة والموت والخلق والسعادة، وهى كلها فلسفة .. هذا الكتاب يبرهن لك كاتبه فايز فرح على أنك فيلسوف وأن السعادة بين يديك وداخلك فكيف لا تكون سعيدا ؟

فى هذا الكتاب يجول بنا المؤلف فى حياتنا ليتعرف إلى مشاكلنا ويضع لنا الحلول مع بسمة بأسلوبه الساخر الفكه ويؤكد أن الإنسان وُلد ليتمتع بهذا الكون الجميل الجليل.

دار المعارف

٤٠٨١٦١/٠١